عقيدة المعمدانيين ورسالتهم

هيرشل هوبس

HERSCHEL H. HOBBS

دار النشر المعمدانية

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نشر أو إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو الكترونية بهدف بيعها أو المتاجرة بها أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن من الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي، كما يمكنك أن تنسخها لأجل توزيعها مجاناً لتعم الفائدة.

المحتويات

مقدمة	
الفصل الأول	الصخر الذي منه قُطعنا
الفصل الثاني	الكتاب المقدس
الفصل الثالث	الله
الفصل الرابع	الإنسان
الفصل الخامس	الخلاص
الفصل السادس	قصد الله بالنعمة
الفصل السابع	الكنيسة
الفصل الثامن	المعمودية وعشاء الرب
الفصل التاسع	يوم الرب
الفصل العاشر	ملكوت الله
الفصل الحادي عشر	أمور الآخرة
الفصل الثاني عشر	التبشير والإرساليات
الفصل الثالث عشر	التربية
الفصل الرابع عشر	الوكالة
الفصل الخامس عشر	التعاون
الفصل السادس عشر	المسيحي والنظام الاجتماعي
الفصل السابع عشر	السلم والحرب
الفصل الثامن عشر	الحرية الدينية

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مقدمة

المعمدانيون قوم مدهشون. فليس لديهم قانون إيمان مكتوب، ومع ذلك تجمعهم وحدة رائعة. إنهم يتشاركون في وحدة ذاتِ تنوع؛ فهم منتشرون في أرجاء الأرض كلها، ولهم خلفيات عِرقية مختلفة، ويعيشون في ظل أنظمة حكومية متنوعة، وتواجههم مشكلات اجتماعية متباينة، إنما تجمعهم وحدة هي عقيدة حية ورسالة ثابتة.

يكاد يستحيل على أي إنسان بمفرده أن يكتب خلاصة رسمية لعقيدة المعمدانيين ورسالتهم. ومع أن كاتب هذا الكتاب معمداني جنوبي، فلا يُعتبر ما كتبه هنا خلاصة لعقيدة المعمدانيين ورسالتهم، مُلزِمة للمعمدانيين الجنوبيين. فما هذا الكتاب إلا محاولة بَذَلَها واحدٌ من المعمدانيين لتفسير خُلاصةٍ اقترع عليها مندوبون عن المعمدانيين الجنوبيين في جلسة عُقِدت لهذا الغرض، وهذه الخلاصة اعتُبرت معالجةً شاملةً للعناصر الأساسية المتفق عليها عموماً بين المعمدانيين الجنوبيين.

والجدير ذكره هنا أن ناشر هذا الكتاب باللغة العربية أجرى بعض التعديلات الطفيفة لكي يعبّر- بأكثر تدقيق- عن معتقدات المعمدانيين في الشرق الأوسط.

فما يتضمنه هذا الكتاب هو خلاصة توافق بصورة عامة عقيدة المعمدانيين ورسالتهم في كل مكان.

فمؤلف هذا الكتاب وناشره يصلّيان إلى الله لكي يجعل جهدهما نافعاً في تمكين الآخرين من فهم عقيدة المعمدانيين ورسالتهم فهماً أوفى. كما يناشدان كل من يقرأ هذا الكتاب أن يفعل ما فعله أهل بيرية، إذ فحصوا "الكتب كل يوم، هل هذه الأمور هكذا" (أعمال ١٧: ١١)، وذلك بروح الصلاة وبإرشاد الروح القدس.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الصخر الذي منه قُطعنا

تمهيد

قبل الأخذ بهذه الخلاصة لعقيدة المعمدانيين يجدر بالقارئ الكريم أن يتعرف بموقف المعمدانيين من خلاصة الإيمان:

* إن أية خلاصة للعقيدة عند المعمدانيين هي مجرد اتفاق في الرأي حول بنود الإيمان لدى أية هيئة معمدانية، كبيرة أو صغيرة، بهدف الإرشاد والتوجيه العام، لجمهورها وللآخرين. وليس القصد من مثل هذه الخلاصات أن تزيد شيئاً على شروط الخلاص البسيطة التي يعلنها العهد الجديد في ما يتعلق بالتوبة إلى الله والإيمان بيسوع المسيح مخلّصاً ورباً.

* لا يمكن لأية خلاصة للعقيدة أن تكون كاملة أو نهائية أو معصومة. فكما في الماضي كذلك في المستقبل، ينبغي أن يعتبر المعمدانيون أنفسهم أحراراً في مراجعة خلاصات عقيدتهم، عندما يجدون من الحكمة والضرورة أن يفعلوا ذلك.

* لأية مجموعة من المعمدانيين، كبيرة أو صغيرة، حق بديهي في أن تحدد لنفسها- وتُذيع على الملأ- إقراراً بإيمانها في أي وقت قد ترى فيه أن ذلك مستحسن.

* إن المرجع الوحيد ذا السلطان للعقيدة والممارسة بين المعمدانيين هو كلمة الله المقدسة في العهدين، القديم والجديد. وليست إقرارات الإيمان سوى أضواءٍ هادية في التفسير، ولا سلطان لها على الضمير.

* خلاصات المعتقد الديني مستمدة من الكلمة المقدسة ويجب ألا تحل البتة محل الكلمة المقدسة، وألا تُستعمل بأية طريقة من شأنها أن تقيّد حرية الفكر أو البحث في سائر ميادين الحياة.

إن المعمدانيين قوم يعترفون بعقيدة إيمانية حيّة لها تربتها وجذورها في يسوع المسيح الذي "هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد". ولذات، فالمرجع الوحيد ذو السلطة للإيمان والممارسة عند المعمدانيين هو يسوع المسيح المعلنة مشيئته في الكلمة المقدسة.

والواقع أن العقيدة الحية يجب أن تشهد فهماً متنامياً للحق، كما يجب أن تُشرح باستمرار لإظهار صلتها بحاجات كل جيل جديد. ومن هنا طالما عملت الهيئات المعمدانية، صغيرة كانت أو كبيرة، وعلى مدى تاريخها، على إصدار خلاصات لعقيدتها تحظى بإجماع حول المعتقدات المدرجة فيها. ولكن مثل هذه الخلاصات ما كانت لتُعتبر قط

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إقرارات بالإيمان كاملة ومعصومة، ولا بمثابة قوانين إيمان رسمية ذات سلطة إلزامية. فهذه الخلاصة تسعى، بنفس الروح والقصد التاريخيين، لأن تحدد لعصرها وبيئتها الدينية بنود الإيمان المسيحي الذي نتمسك به بكل يقين.

يشدد المعمدانيون على كفاءة النفس ومسؤوليتها أمام الله، وعلى الحرية الدينية، وعلى كهنوت المؤمن المسيحي. غير أن هذا التشديد لا ينبغي أن يُفسّر بحيث يعني استبعاد تعاليم معينة محددة يؤمن بها المعمدانيون ويقدرونها ويُعرفون بها الآن مثلما عُرفوا من قبل.

إذاً الهدف من خلاصة العقيدة والرسالة هذه هو أن نبين تعاليم معينة نؤمن بها.

"انظروا إلى الصخر الذي منه قُطعتم" (أشعياء ٥١: ١).

بهذه الدعوة توجه أشعياء إلى بني يهوذا للتأمل في إبراهيم أبي العبرانيين الأول وفي مكانته بالنسبة إلى قصد الله الفدائي، لأن المكانة التي شغلها إبراهيم في ذلك القصد يجب أن تكون مثالاً لهم. وبالحقيقة، دعا النبي الشعب ليضعوا نُصب أعينهم المبدأ الأساسي الذي يجب أن يستهدوا به في علاقتهم بالله.

هذه الدعوة تبرز الحاجة الماسة عند المعمدانيين إلى تركيز القلب والعقل على المبدأ الأساسي الذي يميز عقيدتهم. وبعملهم هذا فقط يفهمون أنفسهم وعلاقتهم بعضهم ببعض من حيث عقيدتهم ورسالتهم.

أما أن المعمدانيين يؤمنون بجملة أمور إيماناً نهائياً، فأمر في غاية الوضوح. وهذا الكتاب بمجمله مخصص للنظر في هذه العقائد. إلا أنه واضح كذلك أن الحرية الغالية على قلب كل معمداني، بحد ذاتها، تعني أنه لا بد من وجود الاختلافات المتعلقة بالتفاصيل في التعبير عن العقائد الواحدة. فماذا يجب أن يكون موقف معمداني تجاه معمداني آخر بالنظر إلى هذه الاختلافات؟ جواب هذا السؤال موجود في هذا المبدأ ويُمارس عملياً، تعم الفوضى بالنتيجة. أما إذا التزم المعمدانيون هذا المبدأ فإنهم يتمكنون من بنيان أحدهم الآخر في المحبة المسيحية.

عقيدة مميزة

ما هي هذه العقيدة المميزة التي يعتنقها المعمدانيون؟ وكيف يمكننا أن نصوغ في كلمات هذا المبدأ الأساسي الذي عمل على إبقاء الوحدة بينهم رغم التنوع على مر التاريخ؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أجوبة عديدة قد تتبادر إلى الذهن. فلربما بدا لغير المعمدانيين أن عامل الوحدة بينهم هو إجراء المعمودية بالتغطيس وما يُسمى "الشركة المقفلة[1]". وحتى بين المعمدانيين أنفسهم قد يسمع المرء آراء متنوعة بالنسبة إلى عامل التوحيد، كسلطان الكتاب المقدس، ولاهوت المسيح ربوبيته، وسوى ذلك من المعتقدات البينة التي عُرف عن المعمدانيين أنهم يتمسكون بها بشدة. على أن أياً من هذه التعاليم، وإن كانت أساسية في عقيدة المعمدانيين، ليس هو المبدأ المميز عندهم. وفي الواقع أن المرء يخشى أن ينسى هذا المبدأ في خضم المناقشات المتعلقة ببنود الإيمان المختلفة، الأمر الذي يجعل من الضروري المُلّح أن نبدأ دراستنا هذه بهذا المبدأ المقصود.

كتب مولنز (E. Y. Mullins) منذ سنين عديدة كتاباً عنوانه "بديهيات الإيمان"، وفي الفصل الثالث من هذا الكتاب مناقشة لأهمية المعمدانيين من الناحية التاريخية. وقد أثار ذلك الفصل مسألة "إسهامهم المميز في حياة البشر الدينية والفكرية". وفي معالجته لهذا الموضوع أتى على ذكر قضايا معينة مثل حرية النفس، وفصل الدين عن الدولة، ومعمودية المؤمن، وعضوية الكنيسة للمولودين ثانية فقط، وكهنوت جميع المؤمنين المسيحيين. يقيناً أن كلاً من هذه الموضوعات له أهميته في قلب كل معمداني. إلا أن مولنز استنتج أن أياً منها ليس هو المعتقد المميز عند المعمدانيين.

فما هو إذاً هذا المعتقد المميز؟ إنه "كفاءة النفس (ومسؤوليتها) في قضايا الدين". وقد سارع مولنز إلى القول إن "هذا يعني كفاءة بفضل الله، لا كفاءة بمعنى الاستحقاق البشري الذاتي، إذ لا إشارة هنا إلى مسألة الخطية والقدرة الإنسانية بالمعنى الخلقي واللاهوتي ولا بمعنى الاستقلال عن الكتاب المقدس، ولا الإقلال من أهمية المرشدين والرعاة".

ويُعلن مولنز أن هذا المبدأ متضمن في العهد الجديد، حيث يلقى أوضح تعبير عنه بالتأكيد. على أن المبدأ عينه ظاهر منذ بداية العهد القديم. فهو متأصل في طبيعة الله وطبيعة الإنسان معاً. ذلك أن الله هو الكائن الشخصي المهيمن اللا محدود، وقد خلق الإنسان "كشبهه". وعليه، فالإنسان شخص وُهب الفهم وحرية الاختيار. أجل، إنه شخص وليس دمية. فالله لا يُجبر الإنسان رغم إرادته، بل إن الإنسان حر يختار ما يريده، لكنه مسؤول عن اختياراته. إلا أن مسؤولية الإنسان النهائية هي أمام الله لا أمام أناس آخرين. هذا المبدأ يسري خلال العهد القديم كله في معاملات الله مع الإنسان.

على أن هذا المبدأ، كما سبقت الإشارة، يَلقى التعبير الأكمل عنه في العهد الجديد. هذا المبدأ يتضمن جوهر علاقة الإنسان بالله كما علّم بها المسيح، كما أنه- في الكتاب

[1]- الاشتراك في عشاء الرب وقفٌ على المؤمن المعتمد.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المقدس كله- يستلزم إعلان الله عن ذاته وقدرة الإنسان على قبول هذا الإعلان وفهمه والاستجابة له. وبالنسبة إلى المسيحي المؤمن، ينطوي هذا المبدأ على حضور المسيح الساكن فينا بشخص الروح القدس الذي يُرشد المؤمنين إلى الحق الروحي بكامله.

إن مبدأ كفاءة النفس في الدين ينفي أموراً ويُثبت أخرى في آن واحد. فهو يستبعد كل تدخل بشري في الدين مثل سيادة الأساقفة، وعماد الأطفال، والنيابة الدينية، وتسلُّط الدولة على الكنيسة. ذلك أن "الدِّين هو مسألة شخصية بين النفس وخالقها".

غير أن المبدأ نفسه يثبت عناصر الإيمان الصحيح كلها. فمن هذا المبدأ تنبع سائر عناصر المعتقد المعمداني، كالإيمان بالله المعلن عنه في ثلاثة أقانيم، وسلطان الكتاب المقدس المطلق، والمعمودية، وعضوية الكنيسة للمولودين ثانية فقط، وحُكم الكنيسة المحلية ذاتياً، وكهنوت المؤمنين، والعمل الاجتماعي (جماعياً وفردياً)، وحرية النفس، والفصل بين الكنيسة والدولة.

إذاً، كفاءة النفس في الدين هي المصدر الأساسي الذي إليه تستند العقائد المشار إليها وما يماثلها. وهذا الأمر يوضحه مولنز بإثبات لائحة تتضمن ست بديهيات دينية.

١- البديهية اللاهوتية: لله القدوس المحب حق السيادة المطلقة.

٢- البديهية الدينية: لجميع النفوس على السواء حق القدوم المباشر إلى الله.

٣- البديهية الكنسية: لجميع المؤمنين على السواء امتيازاتهم وواجباتهم في الكنيسة.

٤- البديهية الخُلقية: ليكون الإنسان مسؤولاً، يجب أن يكون حراً.

٥- البديهية الدينية-المدنية: كنيسة حرة في دولة حرة.

٦- البديهية الاجتماعية: "تحب قريبك كنفسك".

وإذ يصر المعمدانيون على مبدأ كفاءة النفس، لا يهتمون كثيراً عندما يُتهمون بالتعصب في هذا المجال. صحيح أنهم يتمسكون بمعتقدات معينة محددة، فيصرّون مثلاً على ربوبية المسيح وسلطان الكتاب المقدس، إلا أنهم يشددون أيضاً على أن كل إنسان يجب أن يتمتع بحرية الاختيار الذاتي في قضايا الدين. ولطالما كان المعمدانيون دعاة حرية النفس وأنصارها، لا لأنفسهم فقط بل لجميع البشر. وعليه، يعتقد المعمدانيون أن للمرء حقه في أن يكون معمدانياً أو ميثودياً أو مشيخياً أو كاثولياً أو يهودياً ملحداً أو مشكّكاً، أو ما شاء أن يكون. وبينما يعتقد المعمدانيون أن الله يوجب عليهم أن يكرزوا بالإنجيل لجميع الناس

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كما يفهمونه، فهم يسعون إلى هداية الناس بالإقناع بواسطة الروح القدس وليس بالإكراه من أي نوع كان.

وهكذا يتبين بالحقيقة أن المعمدانيين من أكثر الناس سماحاً في الدين. فهم يعترفون لكل إنسان بحقه في حرية الاعتقاد كما يشاء. بيد أنهم يصرون على أن يُعترف لهم هم بهذا الحق. فلحظة يسعى أي معمداني إلى إكراه شخص آخر- ولو معمدانياً مثله- على قبول أي شيء يتعلق بقضايا الدين، لحظتئذٍ يخرق معتقد المعمدانيين الأساسي.

إنما لا يعني هذا أن المعمدانيين يعتقدون أنه يمكن للإنسان أن يؤمن بأي شيء يحلو له وفي الوقت نفسه يكون مسيحياً حقيقياً أو معمدانياً. فإن كفاءة النفس في الدين تستدعي اعتقاداً بسلطة الكلمة المقدسة وربوبية المسيح. وفيما يمنح مبدأ كهنوت المؤمنين كل مسيحي حقيقي حق قراءة الكتاب المقدس وتفسيره بنفسه بإرشاد الروح القدس، فإن التفسير المصرّح به يجب أن يكون موافقاً لتعاليم الكتاب كلها، كما يجب أن يلتزم إعلان الله في المسيح، ما دام الروح القدس لا يناقض نفسه ولا يُنكر إعلان الله في ابنه.

وعلى ما يرى غير المعمدانيين، فإن سجلّ المعمدانيين جيّد ومحمود في ما يتعلق بكفاءة النفس في الدين. ولكن ماذا يقول السجل بخصوص علاقة المعمدانيين بعضهم ببعض بالنظر إلى هذا الغرض؟ وعلماً بأن ثمة حدوداً لا يمكن للمرء أن يجاوزها ويظل يدّعي أنه مسيحي أو معمداني، ما القول بخصوص بعض المواد التفصيلية داخل إطار العقيدة العامة التي يدين بها المعمدانيون؟ أما ينبغي أن ينطبق مبدأ كفاءة النفس هناك أيضاً؟

حق المراقب العابر، يتضح له أن المعمدانيين لا يتفقون في أدق التفاصيل. فليس هنالك ما يُمكن أن يُقال إنه "العقيدة المعمدانية" أو "المعتقد المعمداني التاريخي". فتعابير من هذا النوع توحي بوجود قانون إيمان صارم، الأمر الذي تجنبه المعمدانيون دائماً. صحيح أن هناك أمور أساسية معينة يعتقدها المعمدانيون عامة اليوم كما بالأمس، إلا أن مبدأ كفاءة النفس في الدين ما برح حجر الأساس الذي تقوم عليه سائر المعتقدات.

وهذه الحقيقة كامنة أيضاً في صلب مبدأ كهنوت المؤمنين جميعاً. فليس بعجيب إذاً أن تتواجد بين المعمدانيين بعض الفروق، ولكن المدهش أن الفروق قليلة جداً. ولكن ماذا يجب أن يكون موقف المعمدانيين حيث تتواجد مثل هذه الفروق؟ ما دامت هذه الاختلافات لا تُنكر سلطان الكلمة المقدسة ولا ربوبية المسيح، فيجب أن يُصار إلى حل المسألة بالمحبة المسيحية، إذ يحق لكل شخص أن يتكلم عن الحق من وجهة نظره ولكن في جو المحبة. ومن واجب كل شخص أيضاً أن يعترف بهذا الحق لغيره.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مثلاً على ذلك، يتحدث الفصل الأول من سفر التكوين عن خلق الله للكون وما فيه، وينص على أن ذلك تم في ستة أيام. فمن المعمدانيين مَن يعتبر هذه الأيام أياماً عادية ذات أربع وعشرين ساعة، ومنهم من يعتبرها إشارات إلى فترات زمنية غير محددة الطول. أفينبغي للواحد أن يفرض على الآخر قبول وجهة نظره؟ أم ينفصم أحدهما من الشركة مع الآخر بسبب اختلافهما عن إخلاص في وجهتي نظرهما؟ كلاهما يوافق على أنه "في البدء خلق الله السماوات والأرض" (تكوين ١: ١)، ولكن هل ينبغي لكليهما أن يُسلّم بأنه يعلم كيف أتم الله الخلق؟

في الواقع أن الكتاب المقدس لا يقول على نحو حازم كم دامت فترة الخلق. فالكلمة "يوم" قد تعني واحداً من جُملة أمور: يوماً ذا أربع وعشرين ساعة، أو عصراً، أو دهراً، أو فترة زمنية غير محددة الطول. وما دام الروح القدس قد أوحى بتدوين تكوين ١، فمن الواجب أن نستنتج أنه لم يقل القول الفصل في هذه النقطة التفصيلية، ولو قالها لَحسَمَ المسألة. ولكنه ما دام لم يقلها، فإن عصر الزمن هنا ليس أمراً مهماً بالنسبة إلى العقيدة.

ما دام معمدانيان يتفقان حول هذه النقطة الأخيرة، فينبغي ألا يوجد بينهما أساس للخلاف. وحيث ينشأ خلاف حول مسألة من المسائل، يجب حل الخلاف الناشئ على أساس مبدأ كفاءة النفس في الدين. وإذا كان واجباً النطق بأي حُكم، فتلك هي مسؤولية الله لا الإنسان.

إن أساس عقيدة المعمدانيين ورسالتهم هو كفاءة النفس في موضوع الدين. والتمهيد لهذه الخلاصة ينص بوضوح أن "المرجع الوحيد ذا السلطان للعقيدة والممارسة هو الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد. وليست إقرارات الإيمان سوى منابر تعين على شرح العقيدة، وليس لها على الضمير أي سلطان... ولا يجوز أن تُستخدم لتقييد حرية التفكير أو البحث في باقي ميادين الحياة". ثم إن "مثل هذه الخلاصات ما كانت لتُعتَبر قط إقرارات بالإيمان كاملة ومعصومة، ولا بمثابة قوانين إيمان رسمية ذات سلطة إلزامية".

الهدف من هذه الدراسة

مع أن المعمدانيين لا يحبون خلاصات العقيدة الموضوعة بشكل قوانين، فإن الحاجة إلى صياغة مبادئ أساسية منظّمة في العقيدة المعمدانية لأمر مهم ونافع، لنا وللآخرين. ودراسة كهذه ينبغي أن تمكّن المؤمنين مِن فهم إيمانهم على نحو أفضل، ومن نقله إلى سواهم على نحو أفعل. هذه الدراسة ينبغي أن توفر الإرشاد والتوجيه للساعين إلى فهم الكلمة المقدسة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يستهل كل فصل من هذا الكتاب بنص موجز يلخّص القول في ناحية واحدة من نواحي إيماننا. وفي آخر هذه المقدمة عدة شواهد كتابية تسهّل على القارئ أن يدرس المادة لوحده. كل من هذه النصوص الموجزة هو بند من بنود الوثيقة المسماة عقيدة المعمدانيين ورسالتهم. وهذه الوثيقة منشورة أيضاً في كرّاس واحد. أما ما يلي كل بند من بنود الإيمان، في الكتاب الذي بين يديك، فهو جهد قام به رجل واحد لشرح فهمه للعقيدة والرسالة وغالباً ما يقتبس المؤلف من عقيدة المعمدانيين ورسالتهم، حيث يُشار إلى هذه الاقتباسات بوضعها بين أهلَّة.

يُحتمل ألا يوافق كل معمداني على كل عبارة كتبها المؤلف. فهذا أمر ينبغي توقعه، ولا شك أنه مسموح به، لأن جُلّ ما يهدف إليه الكاتب هو أن يدرس كل قارئ الكتاب المقدس شخصياً ويكوّن قناعاته بإرشاد الروح القدس.

في نهاية كل فصل أسئلة أو مسائل لمزيد من التفكير والبحث، الأمر الذي قد يكون ذا فائدة خاصة في الحلقات الدراسية الجماعية. كذلك نشاطات التعلم الشخصية في آخر الكتاب وقد تعين القارئ على التفكير بأكثر عمق.

للمراجعة والبحث

١- في ضوء مبدأ كفاءة النفس في الدين، إلى أي مدى يمكن أن يفرض واحد من المعمدانيين أو مجموعة منهم معتقداً معيناً على أنه معمداني آخر- وعلى شخص غير معمداني؟

٢- علامَ يجب أن تؤسس سلامة العقيدة: أعلى حرف المكتوب في كلمة الله أم على روح المكتوب؟ هل تُضعف الوحدة مع التنوع عقيدة المعمدانيين وشركتهم أو تقويتها؟

٣- للحصول على فكرة أوضح وأشمل، نشير عليك بقراءة النص الموجود ضمن الإطار في أول كل فصل من هذا الكتاب مراجعاً الشواهد الكتابية، في مواضعها من الكتاب المقدس لترى مدى انطباق التعاليم المدرجة على الشواهد الكتابية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الكتاب المقدس

الكتاب المقدس كتبه أناس بوحي من الله، وهو سجل إعلان الله عن ذاته للبشر. إنه كنز كامل من التعليم الإلهي، مؤلفه الله، وغايته الخلاص، ومادته الحق لا يشوبه أي أثر للخطأ. يبين الكتاب المبادئ التي بموجبها يديننا الله، ولذلك كان، وسيبقى إلى انقضاء الدهر، هو المركز الحقيقي للاتحاد المسيحي والمقياس الأسمى الذي على أساسه يجب أن يُمتحن كل سلوك بشري، وكل إقرارات الإيمان، والآراء الدينية. أما المقياس الذي بموجبه ينبغي تفسير الكتاب، فهو يسوع المسيح.

خروج ٢٤: ٤؛ تثنية ٤: ١- ٢؛ ١٧: ١٩؛ يشوع ٨: ٣٤؛ المزمور ١٩: ٧- ١٠؛ ١١٩: ١١، ٨٩، ١٠٥، ١٤٠؛ أشعياء ٣٤: ١٦؛ ٤٠: ٨؛ إر ١٥: ١٦؛ ٣٦؛ متى ٥: ١٧ و١٨؛ ٢٢: ٢٩؛ لوقا ٢١: ٣٣؛ ٢٤: ٤٤- ٤٦؛ يوحنا ٥: ٣٩؛ ١٦: ١٣- ١٥؛ ١٧: ١٧؛ أعمال ٢:١٦ والآيات التالية؛ ١٧: ١١؛ رومية ١٥: ٤؛ ١٦: ٢٥ و٢٦؛ ٢ تيموثاوس ٣: ١٥- ١٧؛ عبرانيين ١: ١ و٢؛ ٤: ١٢؛ ١ بطرس ١: ٢٥؛ ٢ بطرس ١: ١٩- ٢١.

قيل عن المعمدانيين إنهم "أهل الكتاب"، والكتاب المقصود هنا هو الكتاب المقدس.

يضم الكتاب المقدس ستة وستين سفراً أو كتاباً، تسعة وثلاثون منها تكوّن العهد القديم وسبعة وعشرون العهد الجديد. وقد كُتب العهد القديم كله تقريباً باللغة العبرية، ما عدا أجزاء صغيرة كتبت بالآرامية. أما العهد الجديد فقد كُتب باللغة اليونانية، ولا سيما اليونانية العامة المعروفة "بالكيني" (Koine). هذه اللغة المختلفة عن اليونانية الكلاسيكية باتت تُعرف على مر السنين "بيونانية العهد الجديد"، كما لو كانت لغة أعدّها الله لتدوين العهد الجديد. إلا أن اكتشافات أوراق البردي اليونانية غيّر هذا المفهوم. ويُطلق اسم "البرديّات" على تلك المجموعة الضخمة من المواد المعاصرة تقريباً لزمن تدوين العهد الجديد والتي دُونت فيها وقائع الحياة اليومية، مثلاً كسجلّات الضرائب والإحصاء، ووثائق الزواج والطلاق والولادات والوفيات، والوصولات، ولوائح السمانة، والرسائل الخاصة. هذه البرديّات كُتبت بلغة الشعب العامية، والتي لذلك دُعيت "كيني" أي عامية. وقد اكتشف أدولف دايسمان (Adolph Deissmann) أن لغة العهد الجديد هي نفسا لغة البرديّات. ذلك أن جميع كلمات العهد الجديد، ما عدا خمسين كلمة فقط، وُجدت مستعملة في البرديّات وسواها من الكتابات المعاصرة، مما ألقى أضواء ساطعة على معاني العهد الجديد.

فالعهد الجديد إذاً كُتب بلغة التخاطب العامية المستعملة في الحياة اليومية آنذاك. وهذا الكتاب يخاطب اليوم القلب والعقل عند كل من يقرأه بانتباه وبروح الصلاة. ويمكن أن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يقال القول عينه بالنسبة إلى العهد القديم. ذلك أن العهدين القديم والجديد هما معاً كلمة الله. ولذا نستطيع أن نقول عن الكتاب المقدس جُملة أمور نعالجها في ما يلي.

إنه كتابٌ موحىً به

تبدأ خلاصة "عقيدة المعمدانيين ورسالتهم" تصريحها بخصوص الكلمة المقدسة فتقول إن "الكتاب المقدس كتبه أناس بوحي من الله، وهو سجل إعلان الله عن ذاته للبشر". إذاً، يؤمن المعمدانيون بأن الكتاب المقدس هو السجل الموحى به، وهو إعلان الله للبشر.

ولكي نستوعب هذا الحق، يحسن بنا أن ننظر إلى ثلاث كلمات، وهي الإعلان والاستنارة والوحي. أما الإعلان فهو العملية التي بها يكشف الله عن ذاته ومشيئته لأناس يبلّغون البشر رسالته.

وأما الاستنارة فهي عمل يقوم به الروح القدس إذ يعطي الذهن البشري فهماً روحياً ليتمكن الإنسان من إدراك الحق المُعلن. وأما الوحي فيضير إلى إلهام الله بواسطة الروح القدس لإنسان هو يختاره، كي يمكنه بالإرشاد الإلهي من تبليغ رسالة الله المعلنة، أو تدوينها. وبالتعبير الكتابي الأصلي، يعني الوحي أن ينفخ الله في ذهن الإنسان الذي يرسله بما يُريد تبليغه.

إن الله، يعلن عن ذاته محبة خالصة. وهو يفعل ذلك من خلال الطبيعة (المزمور ١٩: ١؛ رومية ١: ١٩ و٢٠)، ومن خلال الضمير الإنساني (رومية ٢: ١٤ و١٥). إلا أن الإعلان بالمعنى المستخدم هنا يشير إلى ذلك الإعلان الكامل الذي تم في المسيح والذي هو مدوّن في الكتاب المقدس، وهو إعلان كامل وتام لن يعقبه أي إعلان آخر من نوعه.

والذين تلقوا هذا الإعلان لم يفهموه دائماً فهماً تامً، مثلاً على ذلك أن داود في المزمور ٢٢ وأشعياء في الفصل ٥٣ من سفره كتبا عن الجلجثة أكثر مما كانا يستوعبان. فالحقائق العظيمة التي تحدثا عنها تمّت كليّاً في يسوع المسيح. وقد نوّر الروح القدس أذهان كتَبة الإنجيل وبولس وباقي كتبة العهد الجديد بحيث يفهمون ذلك الحدث (أي موت المسيح) ويشرحونه للأجيال الطالعة. والرسل أيضاً لم يستوعبوا استيعاباً كلياً كلام المسيح إليهم، إلا أن الرب يسوع وعدهم بأن الروح القدس سيعينهم على فهم كل ما قاله لهم. وما زال الروح ينوّر عند كل دارس جاد للكتاب المقدس عقله وقلبه كي يكتشف في كلمة الله حقائق لم يكن يعرفها من قبل.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ولكن حتى الفهم غير الكامل عند كتبة العهد القديم هو بينة على أن الكتاب المقدس صادر عن الوحي الإلهي. ذلك أن الله فتح بصيرة هؤلاء الكتبة فرأوا عبر العصور ما لا يستطيع أن يراه أي إنسان طبيعي. وهذا الإيحاء ينطبق على كلا العهدين.

ثمة عدة نظريات تبحث في كيفية إيحاء الله إلى خدّامه الكتبة.

١- نظرية الحدس، وهي تعتبر أن الوحي ليس إلا تطوراً أعلى للبصيرة الطبيعية التي يملكها الإنسان، لفهم الحق فهماً أتعمق.

٢- نظرية التنوير، وهي تعتبر أن الوحي هو مجرد تعميق الإدراك الديني عند الإنسان وتنشيطه.

٣- نظرية الإملاء، وهي تؤكد أن الكتبة كانوا مُخضعين للروح القدس على نحو جعلهم آلات بيد الله مسلوبة الإرادة.

٤- نظرية الوحي الديناميّ (قوي وفعّال)، وهي تعتقد أن الوحي ليس طبيعياً ولا جزئياً ولا آلياً، بل هو فائق للطبيعة وكامل وديناميّ.

ترى النظريتان الأوليان أن أجزاءً من الكتاب فقط موحىً بها، وأن الكتاب المقدس بالتالي عرضة للأخطاء البشرية في الأجزاء غير الموحى بها. والمعمدانيون الجنوبيون يُجمعون على رفضهما ما عدا قلة ضئيلة. أما النظريتان الأخريان فيعتنق إحداهما أو الأخرى غالبية المعمدانيين الجنوبيين، فبعضهم يتمسكون بهذه وبعضهم بتلك.

والنظرية التي يدعوها سترونغ (strong) نظرية الإملاء، يدعوها مولنز نظرية الوحي الحرفي. وهي ترى أن الروح القدس اختار حتى كلمات الأسفار المقدسة وأملاها على الكاتب، فيما ترى النظرية الدينامية أن الفكرة هي من إيحاء الروح القدس لا الألفاظ بعينها وأن الكُتّاب تُركت لهم حرية التعبير عن الحق بالصِيَغ والكلمات التي يختارون، غير أن الكتّاب في أثناء ذلك كانوا محروسين من الخطأ، وذلك بفضل الروح القدس. وتجد هذه النظرية دعماً لها في اختيار الكاتب ألفاظاً مختلفة لرواية الحادثة الواحدة، فضلاً عن ظهور شخصية الكاتب في ما كتبه.

على أن النظريتين الحرفية والدينامية تختلفان فقط في النظرة إلى أسلوب الوحي، لكنهما تتفقان بالنسبة إلى النتيجة. أما إذا تبنى المرء واحدة من هاتين النظريتين دون الأخرى فلا جدال حول سلامة عقيدته بين المعمدانيين الجنوبيين، إذ يعتبرون أن العقيدتين سليمتان، لا سيما وأن الكتاب المقدس بالنسبة إلى أتباع كلتا النظريتين هو كتاب موحى به من الله.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وأياً كانت الطريقة التي بها أعلن الله ذاته وأوحى إلى أناس بأن يُدوّنوا ذلك الإعلان، فالنتيجة على أية حال هي السجل الموحى به من الله عن إعلانه ذاته للبشر. ويجدر بنا أن نذكر أن إعلان الله تدريجي. ولا يعني هذا ضمناً أنه غير قادر على الإعلان عند نقطة معينة من الزمن، بل إنما يعود إلى قدرة الإنسان على تلقي الإعلان. فلو أراد أينشتاين (Einstein) مثلاً أن يشرح نظريته النسبية إلى ولد، فمن الطبيعي أن يبدأ بالأمور السهلة ومن ثم ينتقل إلى المعرفة الأكثر تعقيداً كلما صار الولد أقدر على الفهم. هكذا بدأ الله من حيث كان الإنسان وأخذ يتدرج به في الإعلان بازدياد قدرته على الاستيعاب. ولذا نجده في بعض أقسام الكتاب المقدس إعلاناً عن الله أعظم مما نجده في أقسام أخرى. ولكن الكتاب كله هو إعلان الله، وكلمة الله الموحى بها.

إن الكتاب المقدس نفسه يشهد عن نفسه أنه كتاب موحى به من الله. فقد تكلم الله مثلاً إلى موسى ويشوع وداود والأنبياء. والعبارة "هكذا يقول الرب" تتردد أصداؤها في أسفار الأنبياء. ويبدأ أشعياء نبوءته بالكلمات: "اِسْمَعِي أَيَّتُهَا السَّمَاوَاتُ وَأَصْغِي أَيَّتُهَا الأَرْضُ" (أشعياء ١: ٢). كذلك يقول إرميا: "فَكَانَتْ كَلِمَةُ الرَّبِّ إِلَيَّ..." (إرميا ١: ٤). وأيضاً: "هَكَذَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: اكْتُبْ كُلَّ الْكَلاَمِ الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ إِلَيْكَ فِي سِفْرٍ" (إرميا ٣٠: ٢). ولقد تكلم الرب يسوع أيضاً بسلطان إلهي.

وفي ١ كورنثوس ٢: ١٠- ١٣ يفيدنا بولس أن رسالته جاءته من طريق وحي الروح القدس. (راجع أيضاً غلاطية ١: ١٢). وهو يصرّح في ٢ تيموثاوس ٣: ١٦ أن "كل الكتاب هو موحى به من الله"، وحرفياً "تنفّس به الله". ويعلّق هستر (Hester) قائلاً: "إن أناساً قديسين، نفخ فيهم الله أو أوحى إليهم، كتبوا الأسفار التي يتكون منها الكتاب المقدس. ولذلك فإن لها سلطاناً ليس لسواها من الكتابات أياً كانت".

ويقول بطرس في رسالته الثانية (١: ٢٠ و٢١): "أَنَّ كُلَّ نُبُوَّةِ الْكِتَابِ لَيْسَتْ مِنْ تَفْسِيرٍ خَاصٍّ، لأَنَّهُ لَمْ تَأْتِ نُبُوَّةٌ قَطُّ بِمَشِيئَةِ إِنْسَانٍ، بَلْ تَكَلَّمَ أُنَاسُ اللَّهِ الْقِدِّيسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ".

ويُرى وحي الكتاب المقدس أيضاً في إتمام النبوات. فمن العبارات التي تتكرر كثيراً في الأناجيل: "لكي يتم ما قيل بالأنبياء". فقبل حصول بعض الحوادث بمئات السنين، كان أنبياء قد تنبأوا بحصولها. نشير مثلاً إلى كيفية ولادة المسيح (أشعياء ٧: ١٤، ميخا ٥: ٢؛ متى ١: ٢٢ و٢٣؛ ٢: ٥ و٦). وفي الناصرة، قرأ الرب يسوع أشعياء ٦١: ١ و٢ ثم قال عن نفسه: "اليوم تم هذا المكتوب في مسامعكم" (لوقا ٤: ٢١). وفي الحوادث المتعلقة بمحاكمة المسيح وموته وقيامته، أتمّ ما جاء عنه في أسفار العهد القديم (لوقا ٢٤: ٤٤- ٤٦).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فههنا رجال عاشوا قبل المسيح بقرون يكتبون بمنتهى الدقّة عن أمور متعلقة بحياته وعمله الكفّاري. فلا يمكن لأي بصيرة بشرية أو عقل بشري مهما ارتقيا أن يفسرا هذه الحقيقة، إذ إن متا يفسّرها هو وحي الله بروحه القدوس، وليس غير.

ثم إن وحدة الكتاب المقدس تؤيد كونه موحى به. فللكتاب المقدس موضوع أساسي واحد، هو قصد الله الفدائي. وفيه شخص أساسي واحد، هو المسيح. وله هدف أساسي واحد، هو الله مهيمناً على كون مفدي.

وإن كُتب الكتاب المقدس على مدى فترة طولها تقريباً ألف وخمس مئة سنة، وفي أماكن شتى على طول الطريق من بابل إلى فلسطين إلى روما. وكان في عداد الكتبة مجموعة من الرجال متعددة المهن والصفات، بين ملوك وفلاحين، وشعراء ورعاة، وصيادين وعلماء، وزارعين وكهنة، وشيوخ وصانعي خيام وحكّام. وضمن موضوعات الكتاب مواد تراوح بين الفلسفة والشعر والنبوءة واللاهوت والتاريخ والعلم وعلم الاجتماع. وليس أحد من كتبة الوحي علم أنه كان يقوم بكتابة جزء من الكتاب المقدس. ويُحتمل أن كثيرين من هؤلاء لم يكونوا على علم بما كتبه الآخرون.

ومع ذلك، فعندما تم جمع الأسفار معاً بإرشاد من الروح القدس روت جميعها قصة واحدة كاملة. ولا يكتمل أي واحد من العهدين بغير الآخر.

مثل هذه الظاهرة لا يمكن تفسيرها على أسس المنطق البشري والمقاصد البشرية. وهي ظاهرة تبقى عديمة المعنى إلا إذا نظرنا إلى الكتاب المقدس بوصفه الإعلان الإلهي المكتوب وحصيلة الوحي الإلهي، وقد تم تأليفه واختياره وحفظه جميعاً بيد الروح القدس المرشدة.

وليس من دليل على وحي الكتاب المقدس أعظم من الرسالة التي يحتوي عليها. ورسالة الكتاب ليست كرسالة أي كتاب آخر.

فالكتاب المقدس أعظم من أن يقارن بأي أثر أدبي من آثار البشر. ومحتويات الأبوكريفا كالرمل بالنسبة إلى جواهر الكتاب المقدس ولآلئه. ولدى مقارنة الأناجيل المزيفة (وهي كتابات غير مقبولة بين الأسفار القانونية)، وقد نُسب بعضها إلى القرنين الأولين بعد المسيح، يتبين أن الأناجيل الأربعة القانونية تسمو عليها كسمو السماء على الأرض.

ويتضمن الكتاب المقدس الحق الذي لا يوجد سواه. فقد يكتشف العقل البشري بعض الحقائق المختصة بالله. ولكن الحق المعلن في الكتاب المقدس يفوق تلك على نحو لا يُبقي مجالاً للمقارنة. قد يتمكن المرء من استيعاب المعاني المتضمنة في سائر الكتب، ولكنه لن يستطيع البتة استيعاب معاني الكتاب المقدس كلها.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كان العهد القديم هو الكتاب المقدس الذي استخدمه المسيح. وبما أنه كلمة الله الموحى بها، فقد اقتبس منه باعتباره مرجعاً إلهياً ذا سلطان. وفيما قد يطعن الشكّاكون في وحي العهد القديم، فإن المسيح لم يشك قط في وحيه. وفي كتاب "هذه عقائدنا" يشير تيرنر (J. Clyde Turner) إلى أن يسوع اتخذ حادثتين مذكورتين في العهد القديم واستخدمهما كإيضاح للحق الإلهي، وهما: الطوفان (متى ٢٤: ٣٨ و٣٩) ويونان والحوت (متى ١٢: ٤٠). وما يقوله المسيح هو القول الفصل، لأنه هو سلطاننا النهائي.

كلمة أخيرة يجب أن تقال عن الكتاب المقدس باعتباره كتاباً موحى به- كلمة تتعلق بالوحي والبحث: هل ينفي أحدهما الآخر؟ لا، البتة. فأكيد أن لوقا مثلاً كتب إنجيله بوحي من الروح القدس. ومع ذلك ففي لوقا ١: ١- ٤، يخبرنا كيف برز إنجيله إلى الوجود. فبالنظر إلى الأخبار السابقة المتناقلة عن أحداث حياة المسيح- المكتوب منها والمنقول شفاهاً- يقول بمنتهى الوضوح: "رَأَيْتُ أَنَا أَيْضاً إِذْ قَدْ تَتَبَّعْتُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الأَوَّلِ بِتَدْقِيقٍ أَنْ أَكْتُبَ عَلَى التَّوَالِي إِلَيْكَ". وتُبين صِيَغ الأفعال في المقطع المشار إليه (لوقا ١: ١- ٤) أن هذا الكلام قد كُتب بعد انتهاء لوقا من تدوين كامل إنجيله. إذاً، لا يتحدث لوقا عما كان ينوي فعله، بل بالأحرى عما كان قد أنجزه فعلاً.

ينبغي أن تُسكِّن هذه الآيات أية خشية من أن تكون الإشارة إلى استقاء المواد من مصادرها من قِبل أي كاتب من كتبة الأسفار المقدسة إنكاراً للوحي الإلهي. ذلك أن ما كتبه لوقا (إنجيل لوقا وأعمال الرسل) قد أثبتت، في وجه أقسى أنواع التحليل النقدي الشوكي، أنه يتصف بالدقة التاريخية المتناهية على نحو ينفي أي ظل للشك بصورة جدية. فقد ثبتت هذه الكتابات كالحصن المنيع، مُضفية المصداقية والموثوقية على الكتاب المقدس كله.

فهل الكتاب المقدس كتاب إلهي؟ نعم. وهل هو كتاب بشري؟ نعم. إنه بالحقيقة كتاب إلهي وبشري معاً. فهو إلهي لأنه كلمة الله الموحى بها. وهو بشري لأن الله اختار أن يدوِّن إعلانه بواسطة أناس يوحي إليهم ويرشدهم في عملهم ويعصمهم من الخطأ فيه.

وهو كتاب ديني

الكتاب المقدس "كنز نفيس من التعليم الإلهي: الله مؤلفه، والخلاص غايته، والحق مادته".

لا يدّعي الكتاب المقدس أنه كتاب تاريخ أو أدب أو فلسفة أو علم نفس أو علوم، ومع ذلك يحتوي عناصر أصيلة من هذه كلها، وأزيد منها. وليس مقصوداً به أن يكون دائرة معارف تحوي أجوبة عن أسئلة الإنسان كلها، إلا أنه يجيب عن تساؤلات القلب والعقل والروح، تلك التساؤلات الحيوية والشاملة والمهمة. وربما لا يقول الكتاب للإنسان

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كل ما ينبغي معرفته، غير أنه يقول له بالفعل ما يحتاج لأن يعرفه في ما يتعلق بواجبه ومصيره الروحيين والأدبيين.

والكتاب المقدس في جوهره كتاب ديني. إذ يقول الرسول بولس: "كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحىً بِهِ مِنَ اللهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبِرِّ، لِكَيْ يَكُونَ إِنْسَانُ اللهِ كَامِلاً، مُتَأَهِّباً لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ" (٢ تيموثاوس ٣: ١٦ و ١٧).

وإذ يتكلم الكتاب المقدس عن قصد الله للفداء، فهو يُعلن كيف ينوي الله أن يستعيد الإنسان الخاطي إلى الشركة معه وأن يستخدمه في خدمته تعالى. هذه الرسالة تتخلّل الكتاب كله من التكوين إلى الرؤيا كخيط قرمزي. وتبدأ خطة الله المعلنة في الكتاب المقدس منذ الأزل حيث يُرى حمل الله المذبوح قبل تأسيس العالم، كما تنتهي في الأبد حيث يُرى حمل الله الظافر على عرشه سائداً على الكون المفدي. فالكتاب المقدس يشير إلى المسيح من قَبلُ ومن بَعد، كما يشير إلى رجوعه المجيد وملكه السعيد في المستقبل أيضاً. ويُعلن الكتاب الله في شخص الروح القدس وهو يقوّي شعب المسيح ويُرشدهم للقيام بمأمورية الله القاضية بالتبشير والخدمة الإرسالية.

يربط الكتاب المقدس قصد الله للفداء بالتاريخ البشري. فالكتاب يبين كيف يستخدم الله البشر والأمم في إتمامه لهذا القصد الفدائي. ويوجه الكتاب الأنظار إلى الزمن الذي فيه في آخرة الدهر(رؤيا ١٩: ١٦)، حيث يكون الله- الآب والابن والروح القدس- هو الكل في الكل (١ كورنثوس ١٥: ٢٤- ٢٨).

ويتحدث الكتاب المقدس عن دينونة الله للخطية. فإنه يُعلن المبادئ التي بموجبها سوف يحاكمنا الله، ولذلك فهو الآن- وسيبقى إلى نهاية الدهر- المقياس الأسمى الذي في ضوئه ينبغي أن يُمتحن كل سلوك بشري وأحكام وآراء دينية.

إن مبدأ الدينونة هذا يتخلل الكتاب المقدس كله. فهو يصف دينونة الله للإنسان الساقط (تكوين ٣: ١٦- ١٩؛ ٤: ١٠- ١٢) ولجنس شرير (تكوين ٦)، وأمم (خروج ٧- ١٢؛ عاموس)، وأفراد (عدد ٢٠: ١١ و١٢؛ ٢ صموئيل ١٢: ١٠- ١٢)، وللشعب الذي اختاره (أشعياء ٥؛ متى ٢١: ٣٣- ٤٥).

ويروي الكتاب المقدس قصة امتزاج محبة الله بغضبه (رومية ١: ١٦- ١٨). فالله يكره الخطية، لكنه يحب الخطاة. ويبين الكتاب ما فعله الله لينقذ الإنسان من الدينونة (يوحنا ٣: ١٦- ١٨). إلا أنه يشير إلى دينونة الله النهائية للخطاة غير التائبين (رؤيا ٢٠: ١١- ١٥). ويتحدث الكتاب أيضاً عن محاكمة جميع البشر (رومية ١٤: ١٠)- المخلصين

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لإظهار مقدار مكافأتهم في السماء، والهالكين لإظهار مقدار معاقبتهم في الجحيم (لوقا ١٢: ٤٧ و ٤٨؛ رؤيا ٢٠: ١٢- ١٥).

والكتاب المقدس هو المقياس الذي به ينظم الله سلوك البشر (٢ تيموثاوس ٣: ١٦ و١٧). حتى إن المرء قد يكتشف هذا الحق في كل صفحة من صفحات الكتاب تقريباً، وإن كان يظهر واضحاً في الوصايا العشر (خروج ٢٠- ١- ١٧). ولا يخف أن الموعظة على الجبل هي دستور ملكوت الله، ولم يُقصد بها أن تبين للهالكين طريق الخلاص، بل أن تعلّم المسيحيين المؤمنين كيف يحيَون حياة الفداء المُصلحة كلياً (يوحنا ١٥؛ رومية ٦؛ ١٢؛ ١ كورنثوس ١٢- ١٤).

هذا، والكتاب المقدس هو القطب الحقيقي للاتحاد المسيحي. فهو يبين الشركة التي للمؤمنين في المسيح. وإذا تم اتباع الكتاب كلياً، بمعزل عن الأحكام والممارسات التي من صنع البشر، فهو يؤمِّن نقطة التجمع الوحيدة التي فيها يستطيع جميع شعب الله أن يجدوا وحدة الإيمان التي لأجلها صلى المسيح (يوحنا ١٧: ٢٢).

وهو كتاب ذو سلطان

إن مبدأ الدينونة والإرشاد لهو دليل على سلطان كلمة الله المكتوبة . ويشير جان نيوبورت (John P. Newport) إلى كون هذا السلطان متجرداً وشخصياً في آن. فهو متجرد لكونه "وثيقة تاريخية إلهية وتفسيراً لإعلان الله في التاريخ صادراً عن وحي الله ومتمتعاً بسلطانه". وهو شخصي "لكون سلطانه غير جامد ولا آلياً. فهو كتاب حي ونابض بالحيوية يستخدمه الروح القدس للتوجيه والإرشاد دون إرغام. إنه كتاب يعمل الروح القدس من خلاله ليقود الناس إلى المسيح الحي ويرشدهم في سبيل المسيحية الصحيحة".

والكتاب كله هو كلمة الله. إلا أن العهد القديم يتكمل في العهد الجديد. لهذا السبب يرى المعمدانيون في العهد الجديد لُغة الحسم النهائية.

والقول إن الكتاب المقدس هو كتاب ذو سلطان لا يعني أنه مرجع في كل ميدان من ميادين الفكر البشري. فهو ليس مرجعاً علمياً، ولا هو يدَّعي أنه كذلك. ومع ذلك، فإذا أبقينا في الذهن أن الكتاب المقدس كُتب بلغة الناس العامية، نجد أن مراحل الخلق الموصوفة في الفصل الأول من سفر التكوين تنسجم مع ما توصل إليه العلم في جميع ميادينه التي تمت بصلة إلى أصل الموجودات، ومنها مثلاً على طبقات الأرض وعلم الأحياء وعلم النبات.

وعندما يمسك المرء الكتاب المقدس بيده، يستطيع أن يتيقن أنه يمسك كتاباً اجتاز وسط النيران الملتهبة التي أشعلها الانتقاد العنيف المُعادي لكنه خرج منها بسلام وهو أزهى لوناً. وإذ نقرأ الكتاب المقدس، لا نُضطر إلى استرضاء عقولنا كي نصدقه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وقد جاء في "عقيد المعمدانيين ورسالتهم" أن مادة الكتاب المقدس خالية من الزغل. والمقصود بهذا طبعاً المخطوطات الأصلية لجميع الأجزاء المكوّنة له. فدارسو الكتاب المطَّلعون يعرفون أن النُسَّاخ اقترفوا بعض الأخطاء على مر السنين. ومعلوم أن الروح القدس لا يعصم النُسّاخ من الوقوع في مثل هذه الأخطاء، كما أنه لا يعصم الطبّاعين منها. ولكن ينبغي أن نتنبّه إلى أن أياً من هذه الأخطاء لا يؤثر تأثيراً مُهماً في محتويات الكتاب الروحية.

إنما بفضل اكتشاف آلاف المخطوطات العائدة للعهد الجديد تيسّر ردّ القسم الأكبر من هذه الأخطاء إلى مصدره وتم إصلاحه. ويُعتبر طلّاب الآداب الكلاسيكية محظوظين إذ توفّر لديهم ما بين عشر مخطوطات وخمس عشرة مخطوطة لأي أثر من الآثار الفكرية. فما أسعد الذين يقومون بدراسة نقدية للكتاب المقدس. ومن بديهيات النقد الأدبي أن المخطوطة الأقدم هي أصح من المخطوطة الأحدث. فبعض مخطوطات العهد الجديد يرجع تاريخها إلى القرن الرابع الميلادي. ويمكننا القول بشكل قاطع إن العلماء استطاعوا أن يحددوا النصوص الصحيحة والدقيقة في المخطوطات الأصلية.

وقد تم العثور في الكهوف القريبة من البحر الميت على أقد النُسخ العائدة للعهد القديم فوُضعت في متناول الإنسان الحديث. وقبل هذا الاكتشاف كانت أقدم النُسخ العبرية وأكملها من مخطوطات العهد القديم تعود إلى القرن التاسع الميلادي. ولكن في المتناول الآن أجزاء من النص العبري يعود تاريخها إلى القرنين الأول والثاني ق.م. وقد تم عام ١٩٥٦ تصنيف تسعين مخطوطة تقريباً لأسفار العهد القديم. وكان ضمن هذه المخطوطات ثلاث عشرة نسخة من سفر التثنية، واثنتا عشرة من أشعياء، وعشر من المزامير وسبع لأسفار الأنبياء الاثني عشرة كلها أو بعضها، وخمس لأسفار من أسفار موسى الخمسة. وهنا تظهر آثار لأسفار العهد القديم باللغة العبرية، كلها ما عدا أستير. وهذه النصوص العبرية مشابهة للترجمة السبعينية إلى أبعد حد (والسبعينية هي الترجمة اليونانية للعهد القديم).

وقد أدى ذلك الأمر بحد ذاته إلى إثبات دقة الترجمة السبعينية، وهي الترجمة التي استعملها معظم كتبة العهد الجديد، كما أنه عمل أيضاً على حل مشكلة متعلقة بالتوافق الكائن بين الأسفار الإلهية. مثلاً، يذكر استفانوس مقتبساً من العهد القديم أن خمساً وسبعين نفساً ذهبوا مع يعقوب إلى مصر(أعمال ٧: ١٤). أما النص العبري الذي اعتمده معظم المترجمين فيذكر أن سبعين نفساً رافقوا يعقوب (خروج ١: ٥). ولكن المخطوطة العبرية التي اكتُشفت في خرائب قُمران، وهي ترجع إلى القرنين السابقين للميلاد، تذكر خمساً وسبعين نفساً، مثلها مثل السبعينية التي استخدمها استفانوس. وهكذا يتبين أن استفانوس كان على حق (وكذلك لوقا في سفر الأعمال).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ويبدو أن القصة لا تكاد تنتهي. فمن أكثر القصص تشويقاً في دراسة الكتاب المقدس الحديثة تتبّع تأثيرات علم الآثار القديمة في توكيد صحة الأسفار المقدسة. صحيح أن بعض المشكلات ما تزال في حاجة إلى حل، ولكن حيث توجد تناقضات ظاهرية يستطيع المرء أن يعتقد راسخاً أنها ترجع إلى نقص المعرفة البشرية وليس إلى أخطاء في مخطوطات الكتاب المقدس الأصلية.

فمع أنه لا أثر للكلمة "عصمة Infallibility". في خلاصة العقيدة المعمدانية، فإن المعمدانيين كثيراً ما يستخدمونها. لذا، حري بنا أن نتوقف عندها ولو قليلاً.

ماذا يقصد المعمدانيون بقولهم إن الكتاب المقدس معصوم من الخطأ؟ المقصود هو أن الكتاب المقدس معصوم بوصفه كتاب دين. إذاً، المعمدانيون الجنوبيون يتمسكون بعقيدة عصمة الكلمة المقدسة، ويرونَ أن هذه العصمة تقوم على كون جميع التعاليم الروحية في الكتاب المقدس هي صحيحة وحق، وتؤدي ما هو مقصود لها أن تؤديه. يقول مولنز: "يُعلن الكتاب المقدس حضور الله في وسط شعبه مستخدماً أُناساً متنوعي القدرات أرشدهم في اختيار مجموعة كبيرة ومتنوعة من الوسائل لتبليغ الحق. وقد راعى هؤلاء الوسائل لكي يصلوا إلى الغاية المنشودة، فاستخدموا دائماً لغة الحياة العامة، مستعملين في بعض الأحيان أشكالاً من التمثيل التصويري تناسب الأمم في طفولتها، ومُرتقين في أحيان أخرى إلى ذُرى الفصاحة التي نراها عند أشعياء، وإلى المفاهيم الرفيعة عن الله اللا محدود في الجلال والقدرة والنعمة والحق. وقد بلغ ذلك كله أوجَهْ بإعلان الله نفسه في المسيح على نحو لا مثيل له.

فهدف الكتاب المقدس هو هدف روحي محض؛ وبما أنه هكذا فقد أثبت حتى الآن- ويُثبت حالياً وسوف يُثبت أيضاً مستقبلاً- أنه الدليل الكافي والوافي وذو السلطان لكل إنسان.

"ويبقى الكتاب المقدس في مكانته ذات سلطان عند المسيحيين. فهو مرجع ذو سلطان، أساسي وحيوي، وليس مرجعاً آلياً وكنسياً. إنه المصدر ذو السلطان في ما يتعلق بمعلوماتنا حول الإعلان التاريخي لله في المسيح. وهو الضابط للاختبار المسيحي والعقيدة المسيحية. وهو أداة الروح القدس في الولادة الجديدة وفي التقديس... إنه يُنيطنا بأعمال الله الخلاصية العظيمة المعلَنة في يسوع المسيح، الفادي والرب. وكلمة الكتاب هي عندنا القول الفصل في جميع المسائل المتعلقة بعقيدتنا وممارستنا المسيحيتين".

معيار التفسير:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"إن المعيار الذي ينبغي تفسير الكتاب المقدس بواسطته هو الرب يسوع المسيح". فالكتاب المقدس هو الكلمة المكتوبة عن الكلمة الحي. وعليه، فأي تفسير لنص ما من نصوص الكتاب يجب أن يتم في ضوء إعلان الله في يسوع المسيح وفي ضوء تعاليم المسيح وعمله الفدائي. وبالحقيقة أن الكتاب المقدس هو خير مفسر للكتاب المقدس، إذ يكتشف المرء معنى جزء في الكتاب في ضوء مضمون الكتاب كله.

للمراجعة والبحث

١- ما معنى "الوحي"؟ وما هي بعض البيّنات التي تُثبت أن الكتاب المقدس هو كلمة الله الموحى بها؟

٢- هل يؤدي البحث إلى مناقضة الوحي، أم أنه يشهد لصحة كلمة الله ودقتها؟

٣- هل يُكلّم الكتاب المقدس قلبكَ؟ تذكّر حالات تبرهن فيها أنه كلمة الله الموجهة إليك.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الله

الله إله واحد أوحد حي وحقيقي. هو كائن روحي مدرك وله ذات. هو الخالق والفادي والحافظ وسيد الكون. والله كائن غير محدود في الفكر وفي القداسة وسائر الكمالات. وعلينا تُجاهه واجب المحبة والمهابة والطاعة بأسمى صُوَرهنّ. والله الأزلي يُعلم ذاته لنا كونه الآب والابن والروح القدس، في شخصية مميزة، لكنْ دونما انقسام في الطبيعة أو الجوهر أو الكينونة.

أ- الله الآب

إن الله، من حيث هو الآب، يملك بعنايته الإلهية على الكون الذي خلقه، وعلى خلائقه، ويهيمن على مجرى التاريخ البشري، وفقاً لمقاصد نعمته. وهو كلّي القدرة وكلّي المحبة وكلّي الحكمة. إنا الله أب بالحق للذين يصيرون أولاد الله بالإيمان بالرب يسوع المسيح. وهو يعامل البشر جميعاً معاملة أبوية.

تكوين ١: ١؛ ٢: ٧؛ خروج ٣: ١٤؛ ٦: ٢ و٣؛ ١٥: ١١وما بعده؛ ٢٠: ١ وما بعده؛ لاويين ٢٢: ٢؛ تثنية ٦: ٤؛ ٣٢: ٦؛ ١ أخبار الأيام ٢٩: ١٠؛ مزمور ١٩: ١- ٣؛ أشعياء ٤٣: ٣، ١٥؛ ٦٤: ٨؛ إرميا ١٠: ١٠؛ ١٧: ١٣؛ متى ٦: ٩؛ وما بعده؛ ٧: ١١؛ ٢٣: ٩؛ ٢٨: ١٩؛ مرقس ١: ٩- ١١؛ يوحنا ٤: ٢٤؛ ٥: ٢٦؛ ١٤: ٦- ١٣؛ ١٧: ١- ٨؛ أعمال ١: ٧؛ رومية ٨: ١٤ و١٥؛ ١ كورنثوس ٨: ٦؛ غلاطية ٤: ٦؛ أفسس ٤: ٦؛ كولوسي ١: ١٥؛ ١ تيموثاوس ١: ١٧؛ عبرانيين ١١: ٦؛ ١٢: ٩، ١ بطرس ١: ١٧؛ ١ يوحنا ٥: ٧).

ب- الله الابن

يسوع المسيح هو ابن الله الأزلي، والخالق الذي به كان كل شيء، والكل به وله قد خُلق. وفي تجسُّده حُبل به من الروح القدس ووُلد من مريم العذراء. وقد أعلن يسوع مشيئة الله، وعمل بها، على نحو كامل، آخذاً على عاتقه مطالب الطبيعة البشرية وضروراتها، موحِّداً ذاته كلياً مع الجنس البشري وكن من دون خطيئة البتة. وقد أكرم الشريعة الإلهية بطاعته الشخصية، وبموته على الصليب أتمّ عمل الفداء لتخليص الناس من الخطية. وقد أُقيم من بين الأموات بجسدٍ ممجّد وظهر لتلاميذه وهو الشخص عينه الذي كان معهم قبل صلبه. ثم صعد إلى السماء وهو الآن ممجد عن يمين الله، حيث هو الوسيط الوحيد لكونه جامعاً في ذاته طبيعة الله وطبيعة الإنسان، وفي شخصه تُصبح المصالحة بين الله والإنسان نافذة المفعول. ولسوف يعود في قوة ومجد ليدين العالم. وهو الآن يسكن بالروح القدس في جميع المؤمنين به، كونه الرب الحي الحاضر في كل مكان.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تكوين ١٨: ١ وما بعده، مزمور ٢: ٧ وما بعده؛ ١١٠: ١ وما بعده، أشعياء ٧: ١٤؛ متى ١: ١٨- ٢٣؛ ٣: ١٧؛ ٨: ٢٩؛ ١١: ٢٧؛ ١٤: ٣٣؛ ١٦: ١٦، ٢٧؛ ١٧: ٥؛ ٢٧؛ ٢٨: ١- ٦؛ ١٩؛ مرقس ١: ١؛ ٣: ١١؛ لوقا ١: ٣٥؛ ٤: ٤١؛ ٢٢: ٧٠؛ ٢٤: ٤٦؛ يوحنا ١: ١- ٨، ٢٩؛ ١٠: ٣٠، ٣٨؛ ١١: ٢٥- ٢٧؛ ١٢: ٤٤- ٥٠؛ ١٤: ٧- ١١؛ ١٦: ١٥ و١٦؛ ٢٨؛ ١٧: ١- ٥، ٢١ و٢٢؛ ٢٠: ١- ٢٠، ٢٨؛ أعمال ١: ٩؛ ٢: ٢٢- ٢٤؛ ٧: ٥٥ و٥٦؛ ٩: ٤ و٥، ٢٠؛ رومية ١: ٣ و٤؛ ٣: ٢٣- ٢٦؛ ٥: ٦- ٢١؛ ٨: ١- ٣، ٣٤؛ ١٠: ٤؛ ١ كورنثوس ١: ٣٠؛ ٢: ٢؛ ٨: ٦؛ ١٥: ١- ٨، ٢٤- ٢٨؛ ٢ كورنثوس ٥: ١٩- ٢١؛ غلاطية ٤: ٤ و٥، أفسس ١: ٢٠؛ ٣: ١١؛ ٤: ٧- ١٠، فيلبي ٢: ٥- ١١؛ كولوسي ١: ١٣- ٢٢؛ ٢: ٩؛ ١ تسالونيكي ٤: ١٤- ١٨، ١ تيموثاوس ٢: ٥ و٦؛ ٣: ١٦؛ تيطس ٢: ١٣ و١٤؛ عبرانيين ١: ١- ٣؛ ٤: ١٤ و١٥؛ ٧: ١٤- ٢٨؛ ٩: ١٢- ١٥؛ ١٠: ٢٤- ٢٨؛ ١٢: ٢؛ ١٣: ٨؛ ١ بطرس ٢: ٢١- ٢٥؛ ٣: ٢٢؛ ١ يوحنا ١: ٧- ٩؛ ٣: ٢؛ ٤: ١٤ و ١٥؛ ٥: ٩؛ ٢ يوحنا ٧- ٩؛ رؤيا ١: ١٣- ١٦؛ ٥: ٩- ١٤؛ ١٢: ١٠ و١١؛ ١٣: ٨؛ ١٩: ١٦.

ج- الله الروح القدس:

الروح القدس هو روح الله. وقد أوحى قديماً إلى رجال قديسين أن يكتبوا الأسفار المقدسة وهو يمكن الناس، بواسطة تنوير ذهنهم، لفهم الحق. إنه يمجد المسيح. وهو يُبكت الناس على الخطية ويقنعهم بالبر ويُنبّههم إلى الدينونة. إنه يدعو الناس إلى المخلّص ويُجري فيهم الولادة الجديدة. يُنمي الخُلق المسيحي، ويعزّي المؤمنين، ويمنح المواهب الروحية التي بها يخدمون الله من خلال كنيسته. وهو يختم المؤمن إلى يوم الفداء النهائي. وحضوره في المسيحي المؤمن يؤكّد أن الله يريد للمؤمن أن ينمو إلى شَبَهِ المسيح. وهو ينير ذهن المؤمن ويقوّيه وكذلك الكنيسة في العبادة والتبشير والخدمة.

تكوين ١: ٢؛ قضاة ١٤: ٦؛ أيوب ٢٦: ١٣؛ مزمور ٥١: ١١؛ ١٣٩: ٧ وما بعده؛ أشعياء ٦١: ١- ٣؛ يوئيل ٢: ٢٨- ٣٢؛ متى ١: ١٨؛ ٣: ١٦؛ ٤: ١؛ ١٢: ٢٨- ٣٢، ٢٨: ١٩؛ مرقس ١: ١٠، ١٢؛ لوقا ١: ٣٥؛ ٤: ١، ١٨ و١٩؛ ١١: ١٣؛ ١٢: ١٢؛ ٢٤: ٤٩؛ يوحنا ٤: ٢٤؛ ١٤: ١٦ و١٧، ٢٦؛ ١٥: ٢٦؛ ١٦: ٧- ١٤؛ أعمال ١: ٨؛ ٢: ١- ٤، ٣٨؛ ٤: ٣١؛ ٥: ٣؛ ٦: ٣؛ ٧: ٥٥؛ ٨: ١٧، ٣٩؛ ١٠: ٤٤؛ ١٣: ٢؛ ١٥: ٢٨؛ ١٦: ٦؛ ١٩: ١- ٦؛ رومية ٨: ٩- ١١، ١٤- ١٦، ٢٦- ٢٧، ١ كورنثوس ٢: ١٠- ١٤؛ ٣: ١٦؛ ١٢: ٣- ١١؛ غلاطية ٤: ٦؛ أفسس ١: ١٣- ١٤؛ ٤: ٣٠؛ ٥: ١٨؛ ١ تسالونيكي ٥: ١٩؛ ١ تيموثاوس ٣: ١٦؛ ٤: ١؛ ٢ تيموثاوس ١: ١٤؛ ٣: ١٦؛ عبرانيين ٩: ٨، ١٤؛ ٢ بطرس ١: ٢١؛ ١ يوحنا ٤: ١٣؛ ٥: ٦ و٧؛ رؤيا ١: ١٠، ٢٢: ١٧.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يؤمن المعمدانيون بإله واحد حي وحقيقي هو الله، وبأنه روح أسمى له ذات، وهو الخالق والحافظ والفادي والحاكم للكون كله. وبما أن الله لا محدود في طبيعته، فمن المستحيل تعريفه. فالتعريف تحديد. ولكن في وسعنا أن نصف الله تعالى.

"إن الله هو الروح الأسمى وله ذات، الكامل في صفاته. إنه مصدر الكون وسنده وغايته. وهو يقود الكون بحسب قصده المُعلَن في يسوع المسيح، القصد الحكيم والعادل والمحب. وهو يحلّ، حيثما يريد، بروحه القدوس، وهدفه دائماً أبداً أن يحوّل كل شيء بحسب مشيئته ويأتي بالجميع إلى غاية ملكوته".

هذا الوصف شامل وعملي في آن. وهو أكثر من وصف فلسفي لا حسي، إذ يتّسم بالود والمحبة ويتحدث عمّا هو الله في شخصه وفي صفاته، وعن علاقته بالكون، وعن قصده الفدائي في المسيح، وعمله بواسطة الروح القدس، وطبيعة ملكوته وغايته. هذا المفهوم عن الله هو مفهوم مسيحي مميز.

أسماء الله

إيلوهيم: هو أول اسم لله يطالعنا به الكتاب المقدس (تكوين ١: ١). وقد كان هو الاسم العام للاهوت، ويُستعمل للدلالة على الإله الحقيقي وعلى الآلهة الوثنية [وهو اسم جمع تُستعمل معه الأفعال بصيغة المفرد حيث يشير إلى الله، وبصيغة الجمع حيث يشير إلى الآلهة المُزيّفة]. أما الكلمة اليونانية المستعملة في العهد الجديد والمعادِلة "لإيلوهيم" فهي "ثيوس" أي الله.

إيل: الاسم المختص لإيلوهيم، استُعمل مدموجاً بكلمات مركبة للدلالة على نواحٍ معينة من طبيعة الله.

أدوناي: ومعناه الأساسي "السيد" أو "الرب". وبينما استُعمل أحياناً بالمعنى البشري كتعبير عن الاحترام، فبالمعنى الإلهي يتضمن فكرة العلاقات الشخصية أو الإسعاف عند الحاجة. أم الكلمة اليونانية المستعملة في العهد الجديد والمعادِلة "لأدوناي" فهي "كيريوس" أي الرب.

يهوه: هو الاسم الذي غالباً ما استُعمل كدلالة على الله؛ وقد ميّز إله إسرائيل من الآلهة الزائفة. وعند العلّيقة الملتهبة أعلن الله نفسه لموسى بوصفه يهوه (خروج ٣: ١٤): "أهيه الذي أهيه" [أي "أكون الذي أكون"؛ و"أهيه" هي صيغة المتكلم من صيغة الغائب "يهوه"، وخير ما يعبّر عن ذلك الكلمة العربية "الكائن"]. وقد كان الله آنذاك على وشك افتداء بني إسرائيل وإخراجهم من أرض مصر على يد موسى. وهكذا أعلن نفسه بصفته

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الكائن السرمدي الذي سيتدخل لمصلحة شعبه. فيهوه إذاً هو اسم الله المختصّ بالفداء. وجدير بنا أن نذكر أن الكلمة "يسوع" هي اسم مركب معناه "يهوه هو الخلاص".

سجايا الله

إن سجايا الله هي الصفات التي تبين طبيعته. ويسرد مولنز لائحة تضم سبع سجايا طبيعية وأربعاً أدبية (أو خُلُقية). أما السجايا الطبيعية فهي التالي:

وجوب الوجود: إن الله موجود وقائم بذاته؛ وهو أزلي أبدي في كينونته (تكوين ١: ١؛ أشعياء ٥٧: ١٥).

عد التغيُّر: لا يتغير الله في شخصه ولا في طبيعته ولا قصده. وهو تعالى فعّال ومبادِر وحر الاختيار، ويختبر الفرح والحزن كليهما. وفيما قد يُغيّر طرائقه وأساليبه، فإنه لا يتغير البتّة في طبيعته أو قصده (تثنية ٤: ٢٦- ٣٨؛ إرميا ٣١: ٣١- ٣٤؛ متى ٢١: ٣٣- ٤٥؛ ٢ بطرس ٢: ٤- ١٠).

الحضور في كل مكان وزمان: إن الله حاضر في جميع الأحيان في كل مكان وزمان من الكون الذي خلقه (مزمور ١٣٩: ٧- ١٢). وهو لا يحدد زمان ولا مكان لكونه روحاً وذاتاً حرة.

اللا محدودية: الله أسمى من أن يحصره مكان. إنه إله الكون. وليس من مفهوم بشري يُمكن أن يحتويه (رومية ١١: ٣٣- ٣٦).

السرمدية: ليس لله بداية ولا نهاية. ومع أن له علاقة بأحداث الزمان، فالزمان لا يحده. ذلك أن الماضي والحاضر والمستقبل هي عنده شيء واحد.

العلم بكل شيء: الله كلي العلم. إنه يعرف كل الأشياء في آن معاً. ومعرفته مباشرة لا تحتاج إلى إعمال فكر أو عقل أو استدلال. وعلمه السابق بالأحداث لا يعني بالضرورة أنه حتم حدوثها سابقاً. وهو تعالى يعلم كيف تسير نواميسه الطبيعية والمادية والأدبية والروحية التي تعمل متجهة نحو غاياتها المحددة. وفي ضوء هذه النواميس، الإنسان حر لأن يختار، لكنه مسؤول عن اختياراته. والله يعلم هذه الاختيارات مسبقاً، لكنه لا يحتمها مسبقاً.

القدرة على كل شيء: إن الله كلي القدرة. وهو يستطيع أن يفعل أي شيء وفقاً لطبيعته وقصده. وهو وحده مَن يفرض حدوداً لقدرته. وحاشا له أن يكذب أو يتصرف على نقيض نواميسه وشخصيته ومقاصده. ومثل هذه الحدود هي بيّنات على قدرة الله وليس على ضعف لديه تعالى.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أما المعجزات فهي أفعال يُجريها الله على نقيض معرفة الإنسان بالنواميس الطبيعية، لكنها ليست على نقيض معرفة الله لهذه النواميس، وهو يُجري هذه الأفعال وفقاً لمشيئة الصالحة وقصده الخيّر. وعليه، لا تكون المعجزات ممكنة وحسب بل متوقعة أيضاً.

وأما السجايا الأدبية الأربع فهي:

القداسة: تنطوي القداسة ضمناً على تفوق الله الأسمى في الطهارة والصلاح (أشعياء ٦: ٣). وتفيد الكلمة معنى الانفصال والرفعة. وعندما تُستعمل بالإشارة إلى الأشخاص أو الأشياء تعني التخصيص لخدمة الله. ولأن الله قدوس، فهو يريد لشعبه أن يكونوا قديسين (لاويين ١١: ٤٤).

البر: إنه توكيد الله الذاتي لأجل الحق باعتباره نقيضاً للباطل. ولكون الله باراً، فهو لا يستطيع أن يتجاهل الشر أو يغض النظر عنه. والبر يتضمن ما هو في طبيعة الله من صلاح واستقامة وطهارة، وما يطلبه في الإنسان، وما يهبه بالنعمة من خلال المسيح لجميع الذين يؤمنون به (رومية ٣: ٢٦؛ ١٠: ١- ١٣، ٢ كورنثوس ٥: ١٩).

الحق: الله هو مصدر الحق كله وأساسه. وهو المعيار الذي به سوف يُحكم على جميع الأفكار والأفعال. والحق- سواء في العلم أو في الدين- منسجم، لأن كل حق هو من الله. وأي خطأ هو ابتعاد عن طبيعة الله (يوحنا ١٧: ١٧). وقد أجاب المسيح الإنسانَ الباحثَ دائماً عن الحق إذا قال: "أنا هو الطريق والحق والحياة" (يوحنا ١٤: ٦).

ويسوع المسيح هو تجسيد للحق (يوحنا ١: ١٤، ١٧؛ ١٤: ٦). وفيه مذّخر جميع كنوز الحكمة والعلم (كولوسي ٢: ٣).

المحبة: تتخلل سجية المحبة سائر سجايا الله كافة؛ ذلك أن "الله محبة" (١ يوحنا ٤: ٧- ١٠). وتتضمن المحبة الوفاء الكلّي تُجاه المحبوب. فالمحبة يريد الله أن يكون في شركة مع خلائقه، كما يريد لهم الخير الأسمى.

الله شخص (ذات)

يقدم الكتاب المقدس الله كونه الروح الأسمى وله ذات (يوحنا ٤: ٢٤)، وله جميع الصفات التي تُعزى إلى الشخصية.

إن الله شخص واحد؛ مكتوب: "لَنَا إِلَهٌ وَاحِدٌ: الآبُ الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ وَنَحْنُ لَهُ" (١ كورنثوس ٨: ٦ راجع أيضاً تثنية ٦: ٤). هذه الآية تُنكر الثنائية (اعتقاد وجود مبدأ خير ومبدأ شر متساويي القدرة يتصارعان للسيطرة على الكون)، وتنكر الحلولية (اندماج الله في كل شيء)، كما تُنكر تعدد الآلهة (اعتقاد وجود عدة آلهة).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ومع أن الله شخص واحد، فهو يُعلن نفسه للإنسان من خلال ثلاثة أقانيم: الآب والابن والروح القدس. إنه الله المثلث الأقانيم: ثلاثة في واحد. وفيما لا ترد الكلمة "الثالوث" في الكتاب المقدس، فقد استعملها ترتليان في القرن الثالث للتعبير عن الحق الذي يُعلّمه الكتاب المقدس: الله الآب (تكوين ١: ١؛ متى ٦: ٩)؛ الله الابن (تكوين ١٨: ١ وما بعده، الله في صورة جسمية، يوحنا ٨: ٣٦)؛ الله الروح القدس (تكوين ١: ٢، يوحنا ١٤: ٢٦).

هذ الحق جاء إلينا من طريق الإعلان الإلهي وليس من طريق العقل البشري. فإذ جَهِدَ الإنسان في التعبير عن وجود أكثر من عنصر في طبيعة الله، صنع له آلهة عديدين. إن الله أعلن ذاته كونه إلهاً واحداً في ثلاثة أقاليم.ويُرى الثالوث الإلهي واضحاً عند معمودية المسيح (متى ٣: ١٣- ١٧). أضف إلى هذا أن الله في ذاته المثلّثة جلياً في كلا الخلق والفداء.

الله الآب

لا يُعلّم العهد القديم على نحو واضح بأبوة الله بالمفهوم المسيحي، وإن كانت هذه الفكرة متضمنة فيه. على أنه يظهر في كلا العهدين سيّداً على خليقته وخلائقه بعنايته الإلهية. وهو يوجّه مجرى التاريخ البشري وفقاً لقصده الفدائي. هذا الأمر يبيّنه اختيارهُ لإبراهيم ونسله، أي شعبه المؤمن، كما تبيّنه علاقة شعبه قديماً بالشعوب الأخرى. وهكذا يرى المرء داخل التاريخ العام التاريخ الإلهي المقدس، حيث يوجّه الله شؤون البشر والأمم نحو إتمام قصده الفدائي. وبوصف الله أباً، فهو لا محدود في المحبة والقدرة والحكمة، وهو يعتني بخليقته كلها عناية أبوية.

غير أن الإعلان الواضح عن الله كونه الآب جاء على يد المسيح. فقد دعا المسيح الله أباه، وتحدث إلى تلاميذه عن الله بوصفه أباهم. وهذا التمييز ظاهر بوضوح في يوحنا ٢٠: ١٧، "أصعد إلى أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم".

عن المسيح هو ابن الله جوهرياً وأزلياً. ولكن البشر يستطيعون أن يصيروا أبناء لله من طريق الإيمان بيسوع المسيح. فأُبوة الله الشاملة لجميع البشر فكرة مثالية جميلة، إلا أنها ليست حقيقية. ذلك أن جميع البشر هم خلائق الله، ولكنهم ليسوا بذلك أولاد الله جميعاً. صحيح أن الله يعامل البشر كلهم معاملة أبوية، وهو يريد أن يكونوا جميعاً أولاداً له، إلا أنه أب بالحق فقط للذين يصيرون أولاداً له بالإيمان بابنه.

الله الابن

المسيح هو ابن الله الأزلي. وهو المفتاح لمعرفة الإنسان بالله والتاريخ.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تتردد في العهد القديم أصداء الرجاء المسيحاني. وتسجّل الأناجيل تجسد المسيح. ويروي سفر الأعمال عمله المستمر بواسطة الروح القدس. وتفسّر الرسائل شخصه وعمله. ويُعلن سفر الرؤيا انتصاره النهائي ومجده. وإذ يقرأ المرء الكتاب المقدس، من المهم جداً أن يظلّ مائلاً في ذهنه أن المسيح مركزه ومحوره.

أسماء الله

يتضمن الكتاب المقدس لا أقل من ثمانين اسماً تُعلن شخص المسيح وطبيعته وعمله. ونشير في ما يلي إلى حفنة من هذه الأسماء.

"المسيح" هو لقبه الرسمي، ويعني "الممسوح للخلاص". ولما كان هذا اللقب يحمل مضامين سياسية وعسكرية في أذهان معاصري المسيح، فهو لم يستعمله قط للإشارة إلى ذاته، إلا في محادثة خاصة (يوحنا ٤: ٢٥ و٢٦). وقد سمح لتلاميذه راضياً بأن يستعملوه بالإشارة إليه (متى ١٦: ١٧). إلا أنه منعهم أن يعلنوه بهذه الصفة قبل الصعود (الآية ٢٠). فعندئذ فقط كان من شأنهم أن يفهموا الطبيعة الروحية لهذه اللفظة. لكن عندما استحلفه رئيس الكهنة، اعترف بأنه المسيح (متى ٢٦: ٦٣ و٦٤). وفي ما بعد صار هذا اللقب الرسمي يُستعمل كاسم علم.

"يسوع" هو اسم الابن الشخصي البشري الخلاصي. ومعنى الاسم في الأصل "يهوه هو الخالص" (متى ١: ٢١؛ أعمال ٤: ١٢).

"الرب" هو اسم آخر من أسماء الابن. وحيث يُستعمل هذا الاسم في العهد الجديد بالإشارة إلى المسيح وبالمعنى المسيحي الصرف، فهو يعني يهوه في الجسد (١ بطرس ٣: ١٥). وقد اعترف توما يوماً بأن المسيح هو ربه وإلهه (يوحنا ٢٠: ٢٨).

"الكلمة"، حيث تعني المسيح، لا توجد إلا في كتابات يوحنا. ومعناها إعلان منطوق به وصريح. وقد استخدم الفلاسفة اليونانية الكلمة "لوغوس" للدلالة على المبدأ الذي يسيطر على الكون أو نفس العالم. ولكن يبدو أن استعمال يوحنا للكلمة عبريٌّ في طبيعته، وإن كان ممكناً أيضاً أنه اصطبغ باللون الفلسفي.

لقد صدَّر يوحنا إنجيله بالعبارة: "في البدء كان الكلمة" (يوحنا ١: ١). وهذا يذكّرنا بفاتحة سفر التكوين (١: ١). فكل مرحلة من مراحل عمل الخلق الإلهي تُستهل بالعبارة "وقال الله". فهنا إذاً "لوغوس"- إعلان صريح ومنطوق به لله في عمله الخلّاق. وقد استعمل يوحنا "الكلمة" للدلالة على أن المسيح هو أيضاً إعلان الله الصريح والمنطوق به في عمل الفداء.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"ابن الإنسان" هي أحب تسمية أطلقها المسيح على ذاته، والتشديد فيها هو على ناسوته. ومع أن هذه التسمية مسيحانية بطبيعتها، فلا أثر فيها للمعنى السياسي أو العسكري. إنها تعبير عن مشابهة المسيح للإنسان لأجل فدائه. وقد استُعمل هذا اللقب في الأناجيل من قِبل المسيح فقط، إلا حينما تم اقتباسه من قِبل مُستَجوِبيه. وبعد أعمال ٧: ٥٦ لا يظهر هذا اللقب ثانية إلا عند الوصول إلى رؤيا ١: ١٣، حيث يُرى المسيح مقيماً في وسط كنائسه.

"ابن الله" استعمله المسيح والآخرون للتشديد على لاهوته. والمسيح اعترف، عندما استُحلف، بأنه ابن الله (متى ٢٦: ٦٣ و٦٤).

وينكر بعض النقّاد أن المسيح نسب إلى نفسه الألوهة. غير أن استعماله للكلمة "ابن" بوفرة نسبةً إلى الله باعتباره الآب، يدحض مثل هذا الإنكار. فلنلاحظ قوله في يوحنا ١٠: ٣٠، "أنا والآب واحد". وقد فهم رؤساء اليهود ذلك كإشارة مباشرة إلى لاهوته. ولذا نوَوا أن يرجموه بتهمة التجديف: "فإنك وأنت إنسان، تجعل نفسك إلهاً" (يوحنا ١٠: ٣٣).

لاهوت المسيح وناسوته

"فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ [وجهاً لوجه لديه أو معادلاً له]، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهَ" (يوحنا ١: ١). بهذا أعلن يوحنا أن المسيح كان مواكباً لله في الأزلية والوجود والمساواة. والاستعمالات الأربعة للكمة "كان" في الآيتين ١ و٢ تعني في الأصل استمراراً في الكينونة. فلم يكن ثمة زمن كان هذا فيه غير صحيح.

كان المسيح في لاهوته فاعلاً في خلق الكون (يوحنا ١: ٣). والمعنى الحرفي لهذه الآية: "كل جزء من الكون بمفرده برز إلى الوجود بواسطته، وبمعزل عنه لم يبرز إلى الوجود أي شيء مما قد صار له وجود". وقد عبّر بولس عن الفكرة نفسها، إلا أنه نظر إلى الكون بمجمله (كولوسي ١: ١٦ و١٧). ومعنى ذلك حرفياً: "ضمن دائرته تمّ خلق الكون كله.... والكون كله بواسطته ولأجله يقوم مخلوقاً. وهو وحده فقط كائن قبل أي جزء فرد من الكون. والكون كله يتماسك معا فيه هو". إنه هو مَن خلق الكون. وكلما زاد الإنسان علماً عن الكون، عظُم مفهومه للمسيح.

ولعل أعظم آية عن لاهوت المسيح هي كولوسي ٢: ٩. وهاكها حرفياً: "لأن فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً". وهذا يعني أن جوهر اللاهوت بكامله يقيم في المسيح كإنسان. هو نبع الحياة، سواء في ذلك مبدأ الحياة الدنيوية أو الحياة الروحية.

ومع ذلك، فإن مَن كان مساوياً لله في الأزلية والمقام والكينونة "صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا... مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقّاً" (يوحنا ١: ١٤). فالذي كان هو الله نفسه دائماً صار إنساناً ذا لحم ودم لكي يفتدي الناس من أسر الخطية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إنه لصحيح أن يسوع المسيح كان هو الله. ولكن الأعجب جداً هو أن الله صار يسوع الناصري! إنه جوهر النعمة والحق بالذات. فلما شاء الله أن يُعلن ناموسه، فعل ذلك بواسطة إنسان هو موسى. ولكنه لما أعلن نعمته، صار إنساناً هو يسوع المسيح. وقد فعل ذلك بواسطة ولادة فريدة في التاريخ.

ولادة المسيح من عذراء

يفيد الكتاب المقدس بوضوح أن يسوع المسيح قد وُلد من عذراء. ويشكّك بعضهم في هذه الحقيقة متذرّعين بذريعتين: أن الولادة العذراوية لا تّكر إلا في إنجيلي متى ولوقا، وأنها مخالفة لنواميس علم الوراثة الطبيعية.

أما على الذريعة الأولى، فكم مرة يجب أن تُذكر الحادثة في الكتاب المقدس حتى تُعد صحيحة؟ فإن إنجيل مرقس يبدأ بخدمة المسيح الجهارية، ولذا فمن الطبيعي أن يتجاوز التوقف عند ولادته وحداثته. وكذلك لا يذكر يوحنا الولادة العذراوية ما دامت قد ذُكرت في إنجيلين سابقَين. غير أنه يلمّح إليها في ١: ١٤. فبأية طريقة غير هذه يُعقل أن يصير الله إنساناً ذا لحمٍ ودم؟ كذلك يشير بولس ضمناً إلى الولادة العذراوية في غلاطية ٤: ٤ يقيناً، مع أن ذلك ليس بيد القصيد من الكلام في هذا الموضع. ولم يثر على مر التاريخ المسيحي أي شك في الولادة العذراوية، إلا على أيدي أعداء المسيح (يوحنا ١٨: ٤١)، حتى كان القرن الثامن عشر أو التاسع عشر. ولو كان هذا الأمر موضع شك حقيقي لما كُتبت الأناجيل، لكان مثيرون من الأحياء آنذاك كذّبوا الخبر، وربما كانت بينهم مريم نفسها.

إن الولادة العذراوية مدوّن خبرها بالتفصيل في اثنين من الأناجيل. ويوردها متى عندما يقول إن يسوع قد حُبل به من الروح القدس، كما يُعنى متى بالإشارة إلى أن يوسف لم يكن هو والد المسيح (١: ١٨- ٢٠).

أما لوقا فقد كان طبيباً تصنّفه لغته الطبّية في مستوى جالينوس وأبقراط. وبصفته عالماً، فقد كان يعرف كيف يستكشف الحقائق ويستنبط البراهين. بل يُحتمل أيضاً أنه ربما تحدث مع مريم بالذات، وكان من شأنها ألا تتحرج من إطلاع طبيب على الوقائع الدقيقة المختصة بولادة المسيح. ولو كان في الأمر أدنى شك، لكان لوقا سارع قبل غيره إلى إلقاء الشك على الولادة العذراوية، بالنظر إلى مهنته وممارسته. غير أن البراهين كانت حاسمة على نحو مكّنه من تدوين الخبر الأوفى عن ولادة المسيح (١: ٢٦- ٣٨؛ ٢: ١- ١٩). ورغم التحقيق النقدي الدقيق، لم يثبت على لوقا ارتكاب أي خطأ تاريخي ممكن إثباته. فالإخلاص في البحث الخالي من الانحياز يحمل المرء على قبول رواية لوقا بمعناها الظاهر.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ولكن ماذا تفيدنا قوانين علم الوراثة؟ يجدر بنا أن نذكر أن مريم نفسها طرحت أول سؤال بخصوص الولادة العذراوية (لوقا ١: ٣٤). ولنلاحظ جواب الملاك لها: "لأنه ليس شيء غير ممكن لدى الله" (الآية ٣٧). وما يقُلْه الله يقدرْ أن يفعله.

هل الولادة العذراوية أمر مستحيل؟ حتى الإنسان يستطيع أن يسبّب ولادة بالتلقيح الاصطناعي. إنما لا ينبغي الخلط بين العملية وولادة المسيح. ولكن إذا كان الإنسان يستطيع القيام بذلك، فمن ذا يقول ما يقدر الله أن يفعل أو ما لا يقدر؟ من الواجب ألا نحدّ قدرة الله بقدرة الإنسان. فإن قوانين وراثية لا يعرفها الإنسان هي معروفة لدى الله. ولا يُمكن أن يكون ابن اله مولوداً بأية طريقة أخرى غير تلك التي يذكرها الإنجيل. وليس بأهل الإيمان حاجة إلى أكثر مما ورد في لوقا ١: ٣٥: "اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ فَلِذَلِكَ أَيْضاً الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ".

حياة المسيح الخالية من أي أثر للخطية

قد يشكّك الساخرون بكيفية ولادة المسيح، لكن خُلقه يُفحم كل تساؤل. فهو قد أعلن الله على نحو كامل من حيث هو القداسة والبر والحق والمحبة. وقد عمل بمشيئة الآب كل حين. "لأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا" (٢ كورنثوس ٥: ٢١).

عاش المسيح بجسد من لحم ودم في عالم فاسد. وقد وحّد نفسه بالإنسان كلّياً، ما عدا الخطية. وهو قد جُرّب في كل شيء كالبشر، إلا أنه بلا خطية. ومن المُحال أن نجد له في حوزة الشيطان ولو خطية واحدة أو خطأً واحداً. حتى أعداؤه لم يستطيعوا أن يجدوا فيه غلطة واحدة.

وقد أشار أحدهم إلى أن حياة المسيح الكاملة في عالم فاسد كانت معجزة عظيمة في المجال الخُلقي شأنها شأن ولادته العذراوية في المجال الطبيعي. وبفضل حياته الكاملة هو مؤهّل لتخليص الناس من خطاياهم (عبرانيين ٥: ٨ و٩).

موت المسيح الكفّاري

وصف بولس المسيح باعتباره "الَّذِي قَدَّمَهُ اللهُ كَفَّارَةً [أي أساساً للغفران] بِالإِيمَانِ بِدَمِهِ لإِظْهَارِ بِرِّهِ مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ اللهِ. لإِظْهَارِ بِرِّهِ فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ: لِيَكُونَ بَارّاً وَيُبَرِّرَ مَنْ هُوَ مِنَ الإِيمَانِ بِيَسُوعَ" (رومية ٣: ٢٥ و٢٦).

لنتوقف عند الكلمتين: "باراً ويبرّر". إن المسيح، في حياته الكاملة، برر الله في طلبه البر من الإنسان، إذ أثبت المسيح أن الإنسان يستطيع أن يعيش بجسد من لحم ودم في عالم فاسد، وأن يُجرب في كل شيء، ومع ذلك لا يُخطئ. وإذ برهن أن الله بارٌّ، فبموته على

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الصليب دفع الثمن الذي استوجبته الخطية، وبذلك أصبح المبرِّر أمام الله لكل الذين يؤمنون به مخلّصاً لهم.

وقد كان موت المسيح نيابياً في طبيعته، إذ مات عن خطايا البشر، وهو القائل: "أَنَا هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ وَالرَّاعِي الصَّالِحُ يَبْذِلُ نَفْسَهُ عَنِ الْخِرَافِ" (يوحنا ١٠: ١١). فههُنا صورة لشخص ينطرح على شخص آخر ليحمل عنه العقاب الواجب عليه. وهذا فعله المسيح لأجل الخطاة الضالين. فعلى الصليب احتمل بنفسه كامل غضب الله على الخطية. وقد كان موته طوعياً، إذ لا أحد أخذ منه حياته، بل هو بذلها مختاراً. ود كان هذا الموت موتاً واحداً أنهى المشكلة إلى الأبد. فلن يكون مخلّص آخر، ولا لزوم لواحد آخر البتة: "لَكِنَّهُ الآنَ قَدْ أُظْهِرَ مَرَّةً [مرة واحدة وإلى الأبد] عِنْدَ انْقِضَاءِ الدُّهُورِ لِيُبْطِلَ الْخَطِيَّةَ بِذَبِيحَةِ نَفْسِهِ... هَكَذَا الْمَسِيحُ أَيْضاً، بَعْدَمَا قُدِّمَ مَرَّةً [مرة واحدة وإلى الأبد] لِكَيْ يَحْمِلَ خَطَايَا كَثِيرِينَ" (عبرانيين ٩: ٢٦-٢٨).

قيامة المسيح الظافرة

لو مات المسيح وحسْب دون أن يقوم بأي عمل بعد ذلك لكان شهيداً، وليس مخلّصاً. فإنها لحقيقة مجيدة أن "الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ... وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ" (١ كورنثوس ١٥: ٣و ٤). وعليه، فهو ابن الله القادر على التخليص بقيامته من بين الأموات. إنه المخلّص المصلوب، لكنه أيضاً الرب الحيّ.

وقيامة المسيح بالجسد من بين الأموات هي أثبت وأوضح حقيقة عبر التاريخ البشري كله. فالأناجيل الأربعة تروي خبرها، وسائر العهد الجديد يُعلن حقيقتها. ومثلما فعل لوقا بالنسبة إلى ولادة يسوع، فإنه- وهو الطبيب والعالم والمؤرخ- يورد أكمل خبر عن القيامة. ولقد باءت بالفشل جميع المحاولات التي استهدفت إنكار القبر الفارغ أو تعليله بما ينفي القيامة.

وإن في القيامة لبرهاناً على لاهوت المسيح، ودليلاً على موته، وتأكيداً للمؤمنين أنه بمعيّتهم كل يوم. كما أن القيامة ضمانة لقيامة جسد المسيحي المؤمن من بين الأموات.

سيادة المسيح ووساطته

بعد أربعين يوماً من قيامة المسيح، ارتفع إلى يمين الآب (أعمال ١: ٩)، حيث يملك ويقوم بدور الوساطة والشفاعة (١ كورنثوس ١٥: ٢٥)، منتظراً ذلك الوقت الذي فيه يُقدّم للآب كوناً مفدياً، طبيعياً وروحياً، بحيث يصير الله (الآب والابن والروح القدس) هو الكل في الكل (١ كورنثوس ١٥: ٢- ٢٨). وعند انقضاء الدهر سيعود المسيح في مجد عظيم وقوة فائقة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وفي هذه الأثناء هو الوسيط الوحيد الذي على يده يستطيع الخطاة الضالّون أن يتصالحوا مع الله (٢ كورنثوس ٥: ١٩- ٢١). ومعلوم أن الوسيط هو الشخص المعين لمصالحة فريقين متخاصمين. ومن الواجب أن يمثّل الوسيط كِلا الفريقين تماماً وأن يقوم بكل ما هو ضروري للتوفيق بينهما. فالمسيح ببوصفه الله- الإنسان يستطيع أن يقوم بهذا. فإنه يشارك في طبيعة كل من الله والإنسان، وهما يتلاقيان فيه للمصالحة. والمسيح ما زال الآن الله والإنسان. وهو يسكن بالروح القدس في جميع المؤمنين به بوصفه الرب الحي الدائم الحضور.

* الله الروح القدس:

إن الروح القدس هو "روح الله" و"روح المسيح". إذاً هو الله في تعيّن روحي. وكما أن الله هو شخص، فالروح القدس هو شخص. فله جميع سجايا الله وجميع عناصر الشخصية.

معنى الاسم

كانت الكلمة العبرية "رُوح" تعني أصلاً "نسمة"، ثم "ريحاً" وأخيراً "روحاً". ونظيرتها اليونانية تتضمن معنى الجوهر غير المحسوس الذي يملك قوة عظيمة للبناء أو للهدم تبعاً لعلاقة المرء به. ويقترن "الروح" في الكتاب المقدس بالقوة والحكمة والحياة والحق والوداعة والنعمة. ولما باتت الكلمة "الروح" تُطلق على الله، فقد اكتسبت صفة القداسة. ومن هنا يُقال "الروح القدس".

الروح القدس في الكتاب المقدس

يظهر الروح القدس في كلا العهدين، القديم والجديد. ولكنه، شأنه شأن إعلانات إلهية أخرى، يظهر في العهد الجديد أوضح مما في القديم.

يظهر الروح القدس في العهد القديم فاعلاً في الخَلْق. وكان يحل على أناس كي يمكّنهم من القيام بأعمال عظيمة في سبيل الله. والروح القدس هو مصدر الحكمة والبراعة، إذ إنه هو مَن وهب الأنبياء القوة وأعلن لهم حق الله. وقد كان الروح حاضراً في الناس بسلطانه الأدبي (الخُلقي)، كما أنه قد مسح يسوع الإنسان بالقوة.

وفي العهد الجديد كان الروح القدس وهو العامل في الحبل بيسوع (متى ١: ١٨). وكان حاضراً عند معموديته وتجاره، ويسوع عمل بقوة الروح القدس. فمن المُلاحظ أن يسوع لم يُجرِ أية عجائب إلا بعد مسح الروح القدس له عند معموديته.

وقد أرسل يسوع تلاميذه بقوة الروح القدس (متى ١٠: ١٦- ٢٠)؛ ومضى إلى الصليب "بالروح الأزلي" (عبرانيين ٩: ١٤). وقد أُقيم من بين الأموات وفقاً لروح القداسة (رومية

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

١: ٤). وقبل موته، وعد بمجيء الروح القدس في قوة (لوقا ٢٤: ٤٩؛ يوحنا ١٤: ١٦-١٨؛ أعمال ١: ٨). الوعد الذي تم في يوم الخمسين (أعمال ٢). ويسجّل سفر الأعمال عمل الروح القدس من خلال المؤمنين لإكمال العمل الذي بدأه يسوع. وباقي العهد الجديد يؤدي مهمة مماثلة، إذ فسّر كاتبوه معنى شخص المسيح وعمله.

عمل الروح القدس

الروح القدس هو روح الله المرسل للقيام بعمله. وبعدما أشرنا إلى هذا عموماً في ما تقدم، نتوقف في ما يلي عند أربعة من أعمال الروح جدير بنا أن نتحدث عنها بشيء من التفضيل.

العمل الأول يتعلق بالكلمة المقدسة نفسها، وهو عمل له علاقة بالإعلان والوحي والإنارة (راجع الفصل الثاني). فقد أعلن الروح القدس مشيئة الله للبشر فأوحى إلى أناس مختارين أن يدوّنوها. وهو الذي ينوّر أذهان الناس كي يفهموا كلمة الله.

والعمل الثاني من أعمال الروح القدس يتعلق بالخدمة. ففي هذا المجال عمل الروح بواسطة الناس، بل بواسطة يسوع أيضاً. ويُرى هذا على أوضح ما يكون في سفر الأعمال. ففي يوم الخمسين حوّل الروح التلاميذ من الانهزام إلى الإقدام مؤتياً إياهم فهماً كاملاً لعمل المسيح الفدائي. وقد مكّنهم الروح أن يتكلموا بلغات أخرى غير لغاتهم الأم، ممكّناً إياهم بذلك من الكرازة للناس المحتشدين في أورشليم. ووقف الروح مع التلاميذ في وجه خصومهم، وأرشد المسيحيين الأولين في قراراتهم. حتى إن كل تقدم جديد في الكرازة بالإنجيل تم بأمر واضح من الروح القدس أو بموافقته.

أما الثالث من أعمال الروح فهو مع الخطاة الضالين. وقد قال المسيح إن الروح القدس: "يبكّت العالم على خطية وعلى بر، وعلى دينونة" (يوحنا ١٦: ٨- ١١). إنه يُقنع الناس، إذ يبكّتهم على خطيّتهم، بأن الخطية العظمى هي عدم الإيمان بيسوع المسيح، ويبيّن لهم البر الذي يطلبه الله والذي يفتقرون إليه ولا يمكن أن يتوفر لهم إلا في المسيح؛ وينبّههم إلى الدينونة التي تستقر عليهم بوصفهم أولاداً لإبليس. وهكذا يتبين للمرء أن دينونة الله عادلة، فإما أن يقبل المرء المسيح للخلاص وإما أن يرفضه للهلاك.

فالروح القدس يُمكّن الخاطي الهالك من الرجوع إلى المسيح بإيمان. وبقوة الروح يُولَد الخاطي من الروح القدس فيصير واحداً من أولاد الله. عندئذ يختم الروح هذا الإنسان ويقدّسه باعتباره مِلكاً لله.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وأما العمل الرابع للروح القدس فهو في المسيحيين المؤمنين. فعندما يصير المرء مسيحياً حقيقياً، يسكن الروح القدس في داخله. ولذا يتحدث بولس عن المسيحي باعتباره هيكلاً للروح القدس. وبفضل سُكناه في المؤمنين، فهو يسكن أيضاً في الكنائس.

قبل أن يعود الرب يسوع إلى الآب، وعد بأن الروح القدس سيأتي ليمكث مع أتباعه: "وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّياً آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ" (يوحنا ١٤: ١٦). وقوله "آخر" يعني من النوع نفسه، أي مثل المسيح. فالروح القدس يعزّي في الحزن، ويشجّع في الاكتئاب، ويحث على الرفعة وعلى الحياة المقدسة تمجيداً للمسيح. وهو يعلّم ويُرشد ويُعين على معرفة كلمة الله الظاهر في الجسد (أي المسيح) وعلى فهم كلمة الله المكتوبة. ويتكلم الروح في ما يسمعه من الآب. وهو يهب المؤمنين مواهب روحية بها يخدمون الله.

ولا يُعلن الروح القدس ذاته، بل يُعلن الله في المسيح، فالأمر الذي يُلقي ضوءاً على أحد الأسباب في فهم الإنسان ليسوع أفضل من فهمه للروح القدس. وقد قال يسوع: "ذَاكَ يُمَجِّدُنِي لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ" (يوحنا ١٦: ١٤). أجل يُمجّدني، وليس يمجّد نفسه! وفي هذا ما يوحي أن أي نظام ديني، أو فكر لاهوتي يُعظّم الروح القدس أكثر من تعظيم المسيح، لا يكون من الروح القدس.

فكرة واحدة أخيرة تستدعي الاعتبار، وهي الامتلاء بالروح القدس فقد قال بولس: "ولا تسكروا بالخمر... بل امتلئوا بالروح" (أفسس ٥: ١٨). والمعنى في هذا السياق، كما يبدو، أنه ينبغي للمرء أن يحوز الفرح والابتهاج لا لوقت محدود من طريق تناول الخمر، بل بالخضوع للروح القدس في حياته يتأنى له دائماً أن يتمتع بالرفعة والبهجة.

وقد علّم المسيح بأن الروح القدس يسكن داخل كل مسيحي مؤمن (يوحنا ١٤: ١٦ و١٧). فربما امتلأ المرء بالروح القدس دون أن يمتلئ بالقوة. وكي يصح الأمران، يجب أن يخضع المرء للروح الساكن فيه ويضع نفسه في متناوله. فالأمر لا يتعلق بكم يمتلك المسيحي من الروح القدس بل بكم يمتلك الروح القدس من المسيحي.

لا يعلّم الكتاب المقدس ببركة ثانية أو بمعمودية ثانية للروح القدس. ففي سفر الأعمال لا يأتي الروح القدس إلى الأفراد إلا على أساس اختبارهم الولادة الثانية، خلافاً لحلوله على الكنيسة المجتمعة. وفي مدينة أفسس سأل بولس بعض تلاميذ يوحنا المعمدان: "هل قبلتم الروح القدس لمّا آمنتم؟" (أعمال ١٩ك ٢). فهذا يبدو أشبه "بالبركة الثانية" التي عنها يتحدثون. ولكن هذه الآية تفيد أن قبول الروح القدس مرتبط بالإيمان. فالروح يدخل الإنسان عند إيمانه بالمسيح. وعليه، يكون حضور الروح القدس في حياة المرء دليلاً على حصوله على الولادة الثانية، لا على "بركة ثانية" ولا على تقديسٍ، كما يذهب بعضهم (راجع الفصل الخامس).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ومما يسترعي الانتباه أن "ثمر الروح" ليس فيضاً من البهجة، بل هو "محبة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاح، إيمان، وداعة، تعفف" (غلاطية ٥: ٢٢و ٢٣).

فإن كان أحد يعيش في الروح، فعليه أن يسلك في الروح. وبذا يمجّد الله- الآب والابن والروح القدس: "لأن ثمر الروح هو في كل صلاح وبر وحق" (أفسس ٥: ٩).

للمراجعة والبحث

١- كيف يمكن أن يكون الله ثلاثة في واحد؟ هل تستطيع التفكير في طرائق تكون فيها شخصاً واحداً ومع ذلك تكون لك ثلاث علاقات بالنسبة إلى الآخرين؟

٢- ما الفرق بين المسيح بوصفه ابن الله والمسيحيين المؤمنين باعتبارهم أبناء الله؟ كيف يمكن أن يكون المسيح هو الله وإنساناً في آن معاً؟ هل الإيمان بولادة المسيح العذراوية وقيامته أمرٌ جوهري في العقيدة المسيحية؟ أيعني عجزنا عن تفسيرهما، بالنواميس الطبيعية كما نفهمها، أنهما ليستا حقيقيتين؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الإنسان

لقد خُلق الإنسان بمبادرة من الله خاصة، وعلى صورته تعالى؛ وهو تاج خليقة الله. وكان الإنسان في أول الأمر بريئاً من الخطية، وقد منحه الخالق حرية الاختيار. وبالاختيار الحر، أخطأ الإنسان إلى الله وأتى بالخطية إلى الجنس البشري. فمن جراء تجربة الشيطان، تعدّى الإنسان وصية الله، فسقط من براءته الأصلية؛ وبذلك يرث نسلُه طبيعة ميّالة إلى الخطية وبيئة مهيّئة لها. فحالما يصير كل إنسان قادراً على إتيان الأفعال الخُلُقية، يخطئ ويمسي تحت حكم الدينونة. ولا يستطيع أي شيء، غير نعمة الله وحدها، أن يأتي بالإنسان إلى الشركة المقدسة مع الله وأن يقدّر الإنسان على إتمام قصد الله من خلقه. والبرهان على رفعة الشخصية البشرية واضح في كون الله قد خلق الإنسان على صورته، وفي كون المسيح قد مات لأجل الإنسان. وعليه، فلكل إنسان كرامته وحقه بالاحترام والمودة لمسيحية.

تكوين ١: ٢٦- ٣٠؛ ٢: ٥، ٧، ١٨- ٢٢؛ ٣؛ ٩: ٦؛ مزمور ١؛ ٨: ٣- ٦؛ ٣٢: ١- ٥؛ ٥١: ٥؛ أشعياء ٦: ٥؛ إرميا ١٧: ٥؛ متى ١٦: ٢٦؛ أعمال ١٧: ٢٦- ٣١؛ رومية ١: ١٩- ٣٢؛ ٣: ١٠- ١٨، ٢٣؛ ٥: ٦، ١٢، ١٩؛ ٦: ٦؛ ٧: ١٤- ٢٥؛ ٨: ١٤- ١٨، ٢٩؛ ١ كورنثوس ١: ٢١- ٣١؛ ١٥: ١٩، ٢١ و٢٢؛ أفسس ٢: ١- ٢٢؛ كولوسي ١: ٢١ و٢٢؛ ٣: ٩- ١١.

"خُلق الإنسان بمبادرة من الله خاصة، وعلى صورته تعالى؛ وهو تاج خليقة الله". يصرّح الكتاب لمقدس- بكل بساطة- بأن الله خلق الإنسان: "خَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ... جَبَلَ الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ (الإنسان) تُرَاباً مِنَ الأَرْضِ وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْساً حَيَّةً" (تكوين ١: ٢٧؛ ٢: ٧). وينبغي أن نشير إلى أن هذا العمل كان بمثابة تتويج لعمل الله المختص بالخلق. فهو لم يكن فكرة طارئة في خاطر الله، بل كان هدف عمله في الخلق.

ولنا أن نذكر ثلاثة أشياء بخصوص الإنسان. ذلك أن جسده مجانس للعناصر الطبيعية. فحياته العضوية مماثلة لجميع أنواع الحياة الحيوانية. ولكنه بوصفه نفساً حية، فقد خُلق على صورة الله وشبهه. ومن الجدير أن نشير إلى أن الإنسان صُنع ليحيا إلى الأبد. فهو لم يصبح خاضعاً للموت إلا بعدما أخطأ. على أنه لأجل هذا السبب ينبغي أن ينقطع مبدأ الحياة الحيوانية في الإنسان، فلا بد أن يعود الجسد إلى التراب (تكوين ٣: ١٩). إلا أن نفس الإنسان، أي ذاته الحقيقية، هي خالدة لن ينقطع لها وجود البتة.

فالإنسان ثنائي في طبيعته. إنه روح وجسد معاً، فليس هو جسداً وله روح، بل إنه روح وله جسد. أما الجسد ففانٍ؛ وأما الروح فخالدة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يقول الكتاب عن الإنسان فقط إنه صُنع على صورة الله. وبما أن الله روح، فإن لهذه الصورة علاقة بطبيعة الإنسان الروحية. وهذه الصورة الإلهية تعني أن الله قد خلق الإنسان ذا طبيعة عاقلة ووجدانية وأخلاقية. فللإنسان إرادة لها حرية الاختيار. وفي حالة خُلقه الأصلية، كان في حال من البراءة تتميز بالقدرة وعلى اختيار البر أو الشر، وتتضح صورة الله في الإنسان أيضاً في كونه مقدّراً له أن يتسلّط على خلائق الله الدنيا.

فقد جاء في المزمور ٨: ٥: "تنقصه قليلاً عن الملائكة، وبمجدٍ وبهاء تكلّله". غير أن النص العبري يقول: "أنقصته قليلاً عن الله إيلوهيم". إذاً خُلق الإنسان أكثر من ملاك. فقد أُنقص قليلاً عن الله!

سقوط الإنسان

لما خُلق الإنسان في حال البراءة، فهو لم يكن باراً ولا كان خاطئاً، فقبل أن يصير هذا أو ذاك، كان عليه أن يمارس حق الاختيار. ومن هنا اختبار التجربة في جنة عدن. هكذا سمح الله بأن يُجرَّب الإنسان أو يُمتحَن بواسطة الحية (تكوين ٣). إن الكتاب المقدس لا يتناول أصل الشر، بل يفترض وجوده، ويتكلم عن قوته المدمّرة، ويبين كيف يعالج الله المشكلة.

لقد أعدَّ الله في عدن ما يلبّي جميع حاجات الإنسان: "وَأَوْصَى الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ قَائِلاً: «مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلاً وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلا تَأْكُلْ مِنْهَا لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتاً تَمُوتُ»" (تكوين ٢: ١٦ و١٧). إن أية محاولة لتحديد نوع هذه الشجرة هي مجرد حزرٍ وتخمين لا طائل دونه.

ولربما كان ممكناً أن يُعتبر ثمرها رمزاً إلى التصميم على إنشاء نظام اجتماعي خارج نطاق مشيئة الله. فأقل ما يُقال إن هذه كانت نتيجة قرارا الإنسان أن يأكل من الشجرة على نقيض إرادة الله. وهذا القرار العمدي كوَّن الخطية.

توصف الخطية في الكتاب المقدس بأنها شر وظلم وفجور وتعدٍّ وإثم وعصيان وتمرّد. ويمكن تعريفها بأنها التمرد على إرادة الله. أما أصل الخطية فهو الأنانية، أي جعل الإنسان ذاته، وليس الله، محوراً لحياته. والله لا يُصنّف الخطايا بين كبيرة وصغيرة، أو ثقيلة وخفيفة. فأي تعدٍّ لإرادة الله هو خطية (يعقوب ٢ك ٩- ١١). أما الخطية الكبرى فهي عدم الإيمان بالرب يسوع المسيح (يوحنا ٣: ١٨).

نجد خبر سقوط الإنسان في تكوين ٣: ١- ٧: "وكانت الحية أجمل جميع حيوانات البرية" (الآية ١). لنلاحظ أن الشيطان قد تنكّر. فأمام الله، كما يفيدنا الكتاب المقدس، يظهر الشيطان دائماً في نوره الحقيقي (أيوب ١ و٢؛ متى ٤). لكنه لا يظهر للإنسان هكذا البتة. فيُحتمل أنه ظهر لحواء مخلوقاً جميلاً رشيقاً، لا حية زاحفة على الأرض (تكوين ٣: ١٤).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تقدمت الحية إلى حواء، وشككت في صلاح الله ومحبته (الآية ١). فلم يُشر الشيطان إلى إعدادات الله الخيّرة بل إلى الناهية الواحدة التي وضعها، دون أن يُنبّه إلى كونها لخير الإنسان. وأظهرت المرأة، في براءتها، نزوعها نحو البر بالاحتجاج لقصد الله الصالح (الآيتان ٢ و٣). فراوغ الشيطان بنسبة الكذب إلى الله تعالى، إذ قال: "لن تموتا" (الآية ٤). فقد قال الشيطان إن الله يؤخر الإنسان، حارماً إياه بذلك تحقيق أقصى إمكاناته- "بَلِ اللهُ عَالِمٌ انَّهُ يَوْمَ تَأكُلانِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ" (الآية ٥).

تتبين لنا من هذه الآية طبيعة الخطية بالذات. فالإنسان أُنقض قليلاً عن الله (مزمور ٨: ٥). والشيطان يقول له: "تكونان كالله". فعندما يسعى الإنسان من طريق الطموح الذاتي لأن يصير إلهاً في حياته وإرادته الخاصتين، عندئذ يُخطئ. وهكذا تكون الخطية إنزال الله عن العرش وإصعاد الذات إليه. هذا الأمر بالذات جعل الفخ يُطبق على حواء، مما يثبت أن النزعة إلى الخطية كانت لديها أيضاً. وهذه النزعة غلبت نزعتها إلى البر.

"فَرَأتِ الْمَرْأةُ أنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلأكْلِ وَأنَّهَا بَهِجَةٌ لِلْعُيُونِ وَأنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ. فَأخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأكَلَتْ وَأعْطَتْ رَجُلَهَا أيْضاً مَعَهَا فَأكَلَ" (الآية ٦). ههنا مجالات التجربة الثلاثة العامة: الشهوة الطبيعية ("جيدة للأكل")؛ الحسّ الجمالي ("بهجة للعيون")؛ الطموح ("شهية للنظر [للتفطين]"). وفي هذه المجالات جرّب إبليس الرب يسوع: الشهوة الطبيعية (تحويل الحجارة إلى خبز- متى ٤: ٣)؛ الحس الجمالي (القفز من على جناح الهيكل- متى ٤: ٦)؛ الطموح (الحصول عى ممالك العالم بالسجود للشيطان- متى ٤: ٩). وفي لوقا ٤: ١٣ تُدعى هذه "كل تجربة" أو كل أنواع التجارب. وبينما أخفق الشيطان في إطباق الفخ على المسيح، نجح مع حواء وآدم (تكوين ٣: ٧).

لا يجرّب الشيطان الإنسان في طبيعته الدنيا بل في طبيعته العليا. فهو يسعى لحمل الإنسان على التعبير بطريقة سافلة عن قواه التي أعطاه الله إياها (يعقوب ١: ١٤ و١٥). وتعليقاً على هذا الأمر عينه يقول كونر (Conner): "وهكذا جرب إبليس حواء بالتوجه إلى هذه الرغائب الثلاث التي هي صفات طبيعية في أي مخلوق بشري سوي. ففيمَ إذاً كانت خطيّتها؟ في محاولتها إشباع هذه الرغائب الطبيعية في كيانها، بالطريقة الخاطئة، على نقيض إرادة الله... إن الخطية هي تحوير الخير، وأردأ خطية قد تكون في تحوير الأفضل... وما يسبب المشكلة ليس استعمال العالم الذي خلقه الله بل إساءة استعماله... فالخطية تظهر دائماً متنكرة في زي الخير أو الصلاح- وإلا فهي لا تكون تجربة".

ولما أخطأ الإنسان، انفصل عن الله. انقطعت الشركة؛ وتشوهت الصورة. وقد مات آدم وحواء جسدياً بعد سنين عديدة. على أنهما لحظة اختارا العمل بإرادة الشيطان بدلاً من

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إرادة الله، لحظتئذ ماتا روحياً. لم يعودا بريئين ويقيناً لم يكونا بارّين. لقد صارا خاطئين ضالين عن الله.

وتالياً، طُردا من حضرة الله، لأن الله القدوس لا يمكن أن يتغاضى عن الخطية. وقد فصلت خطيتهما بينهما وبين إلههما.

ثم إن جسد الإنسان صار عرضة للأمراض والأوجاع التي كثرت في الحياة. وجدير بنا أن نلاحظ أن الله وإن كان يكره الخطية فهو يحب الخاطي. فحتى في عدن، صرح بالوعد بالفداء قبل إصدار حكم الدينونة على الإنسان (تكوين ٣: ١٥). لذلك يُقال إن الآية المشار إليها هي الإنجيل قبل الإنجيل، لكونها تلقي أضواءً مستقبلية على الفادي.

وما قصة آدم وحواء إلا تاريخ الجنس البشري، لأن جميع ذرّيتهما ترث الميل عينه إلى الخطية: "فحالما يصير كل إنسان قادراً على إتيان الأفعال الخُلقية، يخطئ ويمسي تحت حُكم الدينونة".

كرامة الشخصية البشرية

على رغم الحقيقة المحزنة الظاهرة في سجلّ الإنسان المعيب، يبقى مع ذلك تاج خليقة الله. فمع أنه خاطئ فهو هدف محبة الله الأبدية كما تظهر لفي حقيقة موت المسيح كي يخلّصه (رومية ٥: ٨). ويلي هذا بالطبع أن الإنسان ذو قيمة لا محدودة في نظر الله. "أَنَّ اللهَ لاَ يَقْبَلُ الْوُجُوهَ [أي لا ينفصل أحداً على أحد]" (أعمال ١٠: ٣٤). لهذا السبب "فلكل إنسان كرامته وحقه بالاحترام والمودّة المسيحية".

للمراجعة والبحث

١- أجرِ دراسة مقارنة بين تجربتي حواء ويسوع. لاحظ خصوصاً المجالات الثلاثة للتجربة في تكوين ٣: ٦ ومتى ٤: ١- ١١. استعد ذكريات اختباراتك الخاصة في التجربة. كيف يمكنك أن تتعلم من يسوع طرائق لمقاومة التجربة؟

٢- ما هو موقفك تجاه سواك من البشر المخلوقين على صورة الله؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الخلاص

يشتمل الخلاص على فداء الإنسان كله. وهو مقدّم مجانياً لكل من يقبل المسيح رباً ومخلّصاً. وقد أوجد الرب يسوع لكل من يؤمن فداءً أبدياً بدمه. ويتضمن الخلاص، بمعناه الأوسع، الولادة الجديدة والتقديس والتمجيد.

أ- الولادة الجديدة، أو التجديد، عمل تجريه نعمة الله، بموجبه يصير الذين يؤمنون خلائق جديدة في المسيح يسوع. إنها تغيير في القلب يُحدثه الروح القدس من طريق التبكيت على الخطية، ويتجاوب الخاطي معه بالتوبة إلى الله والإيمان بالرب يسوع المسيح.

والتوبة والإيمان اختباران لا ينفصلان، وهما من عمل النعمة الإلهية. أما التوبة فهي تحوّل أصيل عن الخطية نحو الله. وأما الإيمان فهو قبول يسوع المسيح وتسليمه كامل الشخصية باعتباره الرب والمخلّص. والتبرير هو التبرئة الكاملة بنعمة الله، وعلى أساس البر الإلهي، لجميع الخطاة الذين يتوبون ويؤمنون بالمسيح. والتبرير يقود المؤمن إلى علاقة بالله قوامها السلام والرضى.

ب- التقديس اختبار يبدأ عند الولادة الجديدة، وبه يتم فرز المؤمن لمقاصد الله ويُقدّر على الارتقاء نحو الكمال الأدبي والروحي بواسطة حضور الروح القدس الساكن فيه وبقوته.وينبغي أن يستمر النمو بالنعمة طوال حياة الإنسان المولود من جديد.

ج- التمجيد هو اكتمال الخلاص، وهو الحالة النهائية المباركة والأبدية لجميع المفديين.

تكوين ٣: ١٥؛ خروج ٣: ١٤- ١٧؛ متى ١: ٢١؛ ٤: ١٧؛ ١٦: ٢١- ٢٦؛ ٢٧: ٢٢ إلى ٢٨: ٦؛ لوقا ١: ٦٨ و٦٩، ٢: ٢٨- ٣٢؛ يوحنا ١: ١١- ١٤، ٢٩، ٣: ٣- ٢١، ٣٦؛ ٥: ٢٤؛ ١٠: ٩، ٢٨، و٢٩؛ ١٥: ١- ١٦؛ ١٧: ١٧؛ أعمال ٢: ٢١؛ ٤: ١٢؛ ١٥: ١١؛ ١٦: ٣٠ و٣١؛ ١٧: ٣٠ و٣١؛ ٢٠: ٣٢؛ رومية ١: ١٦- ١٨؛ ٢: ٤؛ ٣: ٢٣- ٢٥؛ ٤: ٣ وما يليها؛ ٥: ٨- ١٠؛ ٦: ١- ٢٣؛ ٨: ١- ١٨؛ ٢٩- ٣٩؛ ١٠: ٩ و١٠، ١٣؛ ١٣: ١١- ١٤؛ ١ كورنثوس ١: ١٨، ٣٠؛ ٦: ١٩و ٢٠؛ ١٥: ١٠؛ ٢ كورنثوس ٥: ١٧- ٢٠؛ غلاطية ٢: ٢٠؛ ٣: ١٣؛ ٥: ٢٢- ٢٥؛ ٦: ١٥؛ أفسس ١: ٧؛ ٢: ٨- ٢٢؛ ٤: ١١- ١٦؛ فيلبي ٢: ١٢و١٣؛ كولوسي ١: ٩- ٢٢؛ ٣: ١ وما بعدها، ١ تسالونيكي ٥: ٢٣و٢٤؛ ٢ تيموثاوس ١: ١٢؛ تيطس ٢: ١١- ١٤؛ عبرانيين ٢: ١- ٣؛ ٥: ٨و٩؛ ٩: ٢٤- ٢٨؛ ١١: ١ إلى ١٢: ٨، ١٤؛ يعقوب ٢: ١٤- ٢٦؛ بطرس ١: ٢- ٢٣؛ ١ يوحنا ١: ٦ إلى ٢: ١١؛ رؤيا ٣: ٢٠؛ ٢١: ١ إلى ٢٢:٥.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"الخلاص" كلمة لها في الكتاب المقدس معانٍ شتى. ففي العهد الجديد مثلاً، تستعمل هذه الكلمة وصيغتها الفعلية، أحياناً، بمعنى الإنقاذ من الخطر أو الهلاك (متى ٨: ٢٥؛ أعمال ٢٧: ٢٠) والشفاء من المرض (متى ٩: ٢٢). على أن استعمالها الأعظم هو في ما يتعلق بالخلاص الروحي بوساطة المسيح (متى ١٩: ٢٥؛ يوحنا ٣: ١٧).

فالخلاص بهذا المعنى يتضمن فداء الإنسان كله. والفداء يعني فكاك شيء بدفع ثمنه لإعادته إلى ملكية مقتنيه. وقد دبّر الله نفسه دفع الفدية للوفاء بمطالب طبيعته القدوسة البارّة. هذا الأمر أتمّه بموت المسيح وقيامته: "الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه" (٢ كورنثوس ٥: ١٩). فعلى الصليب قدّم المسيح الذبيحة الواحدة الكافية والوافية من أجل خطايا البشر- "وَلَيْسَ بِدَمِ تُيُوسٍ وَعُجُول، بَلْ بِدَمِ نَفْسِهِ، دَخَلَ مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَى الأَقْدَاسِ، فَوَجَدَ فِدَاءً أَبَدِيًّا" (عبرانيين ٩: ١٢).

وقد كان هذا الخلاص ومازال يقدّم إلى جميع الذين يؤمنون بمبادرة من الله تعبيراً عن محبته للخطاة- "لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يوحنا ٣: ١٦). هذه الحياة الأبدية ليست حياة تبدأ بعد الموت، بل إنها ذاك النوع من الحياة الذي هو أبدي بطبيعته ويبدأ لحظة يؤمن المرء بالمسيح ثم يستمر مدى الأبدية.

طريق الخلاص

لقد فصلت الخطية الإنسان عن الله. فالشركة التي شهدتها جنة عدن انفصمت عراها، لكن الله نوى أن يستعيدها. وفي سيناء أعطى الله إسرائيل الناموس الإلهي (خروج ٢٠). ويقول بولس إن الله كتب الناموس نفسه، في جوهره، داخل قلوب الوثنيين (رومية ٢: ١٤- ١٦). فقد نادى الله من علياء قُدسه- إن صح التعبير- داعياً الإنسان لأن يصعد إليه. وإخفاقُ الإنسان في ذلك أتى بدينونة تقتضيها مخالفة كلا الناموسين، المكتوب والكامن داخل البشر (رومية ٢: ١- ١٣). حتى إن المسيح قال للشاب الغني إنه من الواجب أن يحفظ الوصايا، لما سأله هذا الشاب ماذا يفعل ليرث الحياة الأبدية (متى ١٩: ١٦ و١٧). على أن حفظ الوصايا يجب أن يكون شاملاً كاملاً، بحيث إن الإخفاق في وصية واحدة يجعل الإنسان مذنباً كما لو أخفق في الجميع على السواء. فما من إنسان يفعل من الخير بقدر ما يعرفه. وعليه، فلا أحد يحفظ ناموس الله كاملاً، سواء كان الناموس المكتوب أو ذاك الكامن داخل الإنسان الوثني. وربما اعترض أحدهم زاعماً أن الله غير عادل في طلب مثل هذا المطلب. غير أن حياة المسيح الكاملة تشهد بصحة العكس. فقد أثبت المسيح أن الله "بارّ" (أو عادل) في طلبه القداسة الكاملة. ولذاك كان الله في المسيح باراً، ومبرِّراً لكل من يتقدم إليه من طريق الإيمان بالمسيح (رومية ٣: ٢٦). وقد أتم المسيح ذلك بدفع الثمن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عن خطية الإنسان، وذلك بموته الكفّاري، حتى يتسنى للإنسان من طريق الإيمان بالمسيح أن ينال بر الله الذي هو في ابنه الحبيب.

ذلك هو معنى غلاطية ٤: ٤ و٥: "أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ... مَوْلُوداً تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ". فقد جاء المسيح ليطلب ويخلّص ما قد هلك. وهذا الخلاص مقدم مجاناً لجميع الذين يقبلون يسوع المسيح رباً ومخلّصاً.

وهذا يعني أن الخلاص هو بالنعمة من طريق الإيمان بالرب يسوع. فلما لم يشأ الإنسان، بل بالأحرى لم يستطع، أن يخلص بالناموس، دبّر الله الخلاص بالنعمة من طريق الإيمان. وقد أثبت الإنسان، بسجلّه المعيب الآثم، أنه ما كان ليطيع ناموس الله.

وما دام الله قد علم منذ البدء أن الحال ستكون على هذا المنوال، فلماذا انتظر تلك المدة الطويلة جداً لتدبير الخلاص بواسطة ابنه؟ أجل، كان الله يعلم كل شيء منذ البدء، ولكن كان على الإنسان أن يتعلم، من طريق الاختبار المر، أنه أضعف من أن يخلص بواسطة الناموس. وهذه المعرفة بالإنسان متضمنة في العبارة "ملء الزمان" (غلاطية ٤: ٤). فقد تم ذلك في الوقت المناسب بحسب حكمة الله. ولما لم يقدر الإنسان،بقدرته المحدودة، أن يخلّص نفسه، بات على استعداد لأن يخلّصه آخر. وهكذا فإن الله، في المسيح، عمل للإنسان ما لم يستطع أن يعمله هو لنفسه ولا أن يعمله له أحد سواه. وهنا بالذات جوهر النعمة.

كانت الكلمة اليونانية المترجمة "نعمة" تعني أصلاً إهداء هدية، ثم باتت تعني الإعفاء من وفاء الديون، ثم غفران الإساءة، وأخيراً غفران الخطية. وعليه، فالنعمة هي هدية في الأساس، على حد ما هو معبّر عنه في رومية ٣: ٢٤، وترجمة هذه الآية حرفياً: "وقد أُعلنوا أبراراً، على سبيل العطية المجانية، بنعمة الله من خلال الفداء الكامل الذي هو في المسيح يسوع".

هذه الحقيقة معلنة بوضوح في أفسس ٢: ٨- ١٠: "لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ. لَيْسَ مِنْ أَعْمَالٍ كَيْلاَ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ. لأَنَّنَا نَحْنُ عَمَلُهُ[تحفته أو رائعته]، مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ، قَدْ سَبَقَ اللهُ فَأَعَدَّهَا لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا".

لنلاحظ أن الخلاص "ليس منكم" و"ليس من أعمال" باعتبار مصدره، بل هو "عطية الله". إنه بالنعمة التي تصير في متناول المرء من طريق الإيمان الشخصي. فلا يخفَ أن الأعمال الصالحة بالنسبة إلى الخلاص ليست السبب بل النتيجة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كان اليهود في القرن الأول للميلاد يعتبرون أنفسهم أولاد الله، وكانوا يُعنَون بالقيام بالأعمال الصالحة كي يكافئهم الله. فأعلن بولس أنهم بمثل هذه الأعمال التي تتصف بالبر الذاتي أخفقوا في الحصول على بر الله (رومية ١٠ و١١). وإذ ظنّ بعض المعلّمين الدّاعين إلى التهويد أن الخلاص هو لليهود فقط، راحوا يكرزون بأن على غير اليهود أن يُصبحوا دخلاء يهوداً أولاً ومن ثم يؤمنون بالمسيح لكي ينالوا الخلاص (أعمال ١٥: ١). ولكن بطرس قال: "لَكِنْ بِنِعْمَةِ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ نُؤْمِنُ [نحن اليهود] أَنْ نَخْلُصَ كَمَا أُولَئِكَ [الأمم] أَيْضاً" (أعمال ١٥: ١١). فبدل أن يكون على الأمم أن يخلصوا بالتحول إلى يهود، كان على اليهود أن يخلصوا بالنعمة بواسطة الإيمان، شأنهم شأن الأمم.

هذا الحق نفسه تعبّر عنه الكلمات "برّ" كما هي مستخدمة في رومية ١: ١٧. فالكلمة اليونانية المترجمة "براً" تنتمي إلى تشكيلة من الكلمات التي تعني أن شيئاً ما ليس بالضرورة صحيحاً في الواقع ولكن المرء يختار أن يعتبره صحيحاً. وقد أشير إلى ثلاثة استعمالات للكلمة عند البحث في بر الله (رومية ٣)، وهي: ما هو الله في طبيعته، ما يطلبه في الإنسان؛ ما يُنعم به في المسيح. ويظهر الاستعمال الثالث في رومية ١: ١٦. ولعلك ترغب في مراجعة هذه الاستعمالات في رومية ٣.

إذاً "بر الله" هو سجية من سجاياه، وعمل من أعماله. بهذا العمل ينتشل الله الإنسان من الخطأ ويرسّخه في الصواب كما لو أنه لم يكن مرة في الخطأ. ولا يعني هذا أن المرء يكون باراً داخل نفسه، بل أنه يُعتبر باراً في المسيح، إذ يكون له بر الله الذي في المسيح يسوع (رومية ١٠: ١- ١٠). ولا يخفَ أن المسألة كلها- من أولها إلى آخرها- متعلقة بالإيمان. إنها بالنعمة، بواسطة الإيمان.

ويمكننا أن ننظر إلى الخلاص بمعناه الأشمل فنراه ينطوي على ثلاثة أمور، هي الولادة الجديدة والتقديس والتمجيد.

ومن الواجب أن يُحدد المعنى، في كل ناحية من هذه النواحي، في ضوء سياق الكلام. فالإخفاق في إدراك هذا التمييز يُفضي إلى أخطاء عديدة، منها مثلاً اعتقاد الخلاص بالأعمال، واعتقاد السقوط من النعمة، وعدم يقينية المرء من خلاصه قبل ظهوره أمام كرسي المسيح. ولكن حين يُراعى هذا التمييز يُغني اختبار الخلاص بمعناه الأشمل.

الولادة الجديدة

غالباً ما يُستعمل تعبير "التجديد" للإشارة إلى اختبار الولادة الجديدة أو الولادة من فوق (يوحنا ٣: ٣؛ تيطس ٣: ٥). وهذا عمل فوري تُجريه نعمة الله بقوة الروح القدس

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ومن طريق يسوع (٢ كورنثوس ٥: ١٦). وواضح أن الخلق هو من أعمال يصير أيضاً ولداً من أولاد الله، فيدخل في علاقة بالله ناجزة لا يمكن نقضها.

وفيما تكلم الرب يسوع عن الولادة مجازياً، عبّر بولس الفكرة عينها بتعبير "التبني" القانوني (رومية ٨: ١٥؛ غلاطية ٤: ٥؛ أفسس ١: ٥). والتبني يعني حرفياً "وضع المرء في مقام ابن". فبموجب القانون الروماني كان ممكناً أن تتبنى إحدى الأُسر شخصاً يكون عبداً في العادة، على أن يدفع الأب المتبني مقداراً من المال بحضور شاهد. وبالتالي يحظى المتبني بحقوق الابن الجديد كافة. وكان هذا الشخص يُعتبر كما لو أنه وُلد ولادة ثانية في أُسرة جديدة، فيحصل على حقوقه البنوية- بما فيها الإرث- جنباً إلى جنب مع الأبناء المولودين في تلك الأسرة أصلاً. كذلك أيضاً كانت تستقر عليه مسؤوليات البنوية (رومية ٨: ١٧).

والولادة الجديدة هي نتيجة للتبكت على الخطية والتوبة عنها والإيمان بالرب يسوع المسيح والاعتراف بهذا الإيمان. أما التبكت فهو حالة ذهنية وقلبية تتيح للخاطي أن يدرك أنه خاطئ أصلاً وفعلاً، كما تتيح له أن يعترف بذلك. والتبكت عمل يجريه الروح القدس (يوحنا ١٦: ٨) وفي هذه الحالة يتصرف المرء أحد تصرُّفين: إما أن يقبل المسيح مخلّصاً له، وإما أن يرفضه ويسترسل في الانغماس بالخطية. غير أن التبكت في ذاته ليس تجديداً.

فينبغي أنا تأتي التوبة الحقيقية في أعقاب التبكت. وفي اليونانية فعلان يُترجمان "تاب": أحدهما يعني الندم على شيء ما لكنه لا ينطوي على تغيير الموقف؛ والثاني يعني تغييراً في الذهن والقلب والموقف. وأهم ما في الأمر تغيير الموقف: فعن بُغض الله يتحول المرء إلى محبته، وعن محبة الخطية إلى بُغضها.وكراهة الخطية هكذا ليست بسبب ما تجلبه على الإنسان نفسه وحسب، بل بالنظر إلى كونها تسيء إلى الله. تلك هي التوبة الحقيقية الضرورية للخلاص.

ولابد أن يلي الإيمان التوبة، بل في الواقع إن التوبة والإيمان هما اختباران لا ينفصلان تُجريهما نعمة الله. فإذا تاب الإنسان توبة حقيقية، فلا بد أن يتوجه إلى المسيح مؤمناً به بصفة كونه مخلّصاً له. والإيمان هو التصديق؛ ولكنه بمعناه الأصح ليس مجرد التصديق العقلي. فهو يتضمن عملاً إرادياً فيه يثق المرء بالمسيح ويسلّم نفسه إليه، خاضعاً لإرادته وطريقه. إنه يعني قبول المسيح، أو استقباله في القلب، باعتباره الرب والمخلّص. ومن ثم يعترف المرء بسيادة المسيح المطلقة على الحياة (رومية ١٠: ٩ و١٠).

هكذا تتم الولادة الجديدة في حياة الإنسان ويتبرر أمام الله. ولكن ليست هذه غاية الاختبار المسيحي، بل هي نقطة انطلاقه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

التقديس:

من المؤسف أن معمدانيين كثيرين يخافون كلمة "التقديس" نظراً لأن بعض الجماعات ربطت فكرة التقديس "بالبركة الثانية" وبلوغ الكمال الخالص من الخطية. وقد سبقت الإشارة إلى أن الكتاب المقدس لا يعلّم بوجود ما يُسمى "بركة ثانية". ولا هو كذلك يعلّم ببلوغ الكمال الخالص من الخطية كحقيقة واقعة في حياة المسيحي الحقيقي. فغنيٌّ عن البيان أن رسالة يوحنا كتبت إلى مسيحيين مؤمنين (١ يوحنا ١: ٨- ٢: ١).

يعني التقديس حالة الانفراز أو التكريس لخدمة الله. ولذا يُدعى المسيحيون المؤمنون "قديسين" أو مقدّسين، أي مكرّسين لله ومخصصين له ومطهّرين (١ كورنثوس ١: ٢؛ ٢ كورنثوس ١: ١). ومعلوم أن مسيحي كورنثوس لم يتصرفوا دائماً تصرفات القداسة، إلا أنهم كانوا "قديسين" رغم ذلك.

يفيدنا منطوق الكتاب المقدس أن التقديس عمل فوري يُفرز بموجبه المولود ثانية لخدمة الله، وعليه من ثم أن ينمو ويتقدم ويخدم في حالة القداسة (عبرانيين ٢: ٣). وهذه الفكرة كامنة في الولادة الجديدة والتبني كليهما.

إذاً، بهذا المعنى يُدعى المسيحيون الحقيقيون "أمة مقدسة". فإن أتباع المسيح في العهد الجديد هم شعب الله المخصصون لخدمته. وإنها لحقيقة ذات شأن ومغزى أن صفة القداسة (أو المقدسية) تُضفى في العهد الجديد بصور رئيسية على "الأشخاص" في حين كانت تُضفى في العهد القديم أساساً على "الأشياء".

إن التقديس عمل من أعمال الروح القدس (رومية ١٥: ١٦). فهو يسكن في المسيحي المؤمن ويسعى لأن يُنميه ويستخدمه في حقل خدمة الله. أما أن الفعل "يقدّس" لا يُشير أصلاً إلى التحرر الكلّي من الخطية فذاك واضح في يوحنا ١٧: ١٩، حيث قال الرب يسوع: "أقدّس أنا ذاتي". فهو، له المجد، قد كرّس نفسه لقصد الله الفدائي من طريق الصليب، لكنه صلى أيضاً طالباً لأتباعه أن "يكونوا هم أيضاً مقدسين في الحق" (الآية ١٩). ففي حق الإنجيل، كان أتباع المسيح ومازالوا مقدسين، أو مخصصين لخدمة الله. ولكن، لكونهم أواني مقدسة، ينبغي لهم أن يمتنعوا عن كل شر. فالحياة المسيحية هي الحياة المقدسة. وباعتبارها كذلك يجب أن تسعى دائماً للتخلص من الخطية لتكون أكثر نفعاً لخدمة الله.

إن أمجد ما في الإنجيل هو أن النفوس تُخلَق خلقاً ثانياً أو تولد من جديد. على أن المأساة كائنة في أن حياة الكثيرين من المسيحيين المؤمنين قد ضلّت السبيل في خدمة الله

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

من جرّاء نقص فهمهم للتقديس. فما أحرى أن يمتثل الجميع لكلام بطرس القائل: "وَلَكِنِ انْمُوا فِي النِّعْمَةِ وَفِي مَعْرِفَةِ رَبِّنَا وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (٢ بطرس ٣: ١٨).

التمجيد

"التمجيد هو تكميل الخلاص، وهو الحالة النهائية المباركة والأبدية لجميع المفديين". إنه الخلاص النهائي والكامل الذي سوف يتحقق في السماء (رومية : ٨: ٢٩؛ عبرانيين ٩: ٢٨).

يذكر بولس الرسول في أفسس ١: ١٤: ما يدعوه "فداء المقتنى". والفداء هنا هو الفداء الكامل الذي يشتمل على الخلاص النهائي مع التشديد على التمجيد. ذلك ما اقتناه الله في المسيح سوف يحفظه فيه. ولسوف يمجّد ما اقتناه في السماء، ويشمل معنى التمجيد إقامة الجسد للحياة الأبدية (رومية ٨: ٢٣، حيث "الفداء" هو نفسه ما نجده في أفسس ١: ١٤). وبلوغ الحصيلة النهائية من المجد والمكافأة في السماء.

وجدير بنا أن نلاحظ أن المسيحي المؤمن هو وارث لامتيازات البنوية، لكنه أيضاً وارث للآلام المصاحبة لهذه الامتيازات (رومية ٨: ١٧): فينبغي له أن يتألم مع المسيح "لكي نتمجد أيضاً معه" (الآية ١٧). ولسوف يفوق المجد بما لا يُقاس "آلام الزمان الحاضر" (الآية ١٨).

ويُشدّد الكتاب المقدس على وجود درجات من الثواب في السماء ومن العقاب في الجحيم (متى ٢٥: ١٤- ٣٠، لوقا ١٩: ١٢- ٢٧). فجميع المولودين من جديد سوف يخلصون في السماء. وفيما سيخلص بعضهم "كما بنار" (١ كورنثوس ٣: ١٤و ١٥)، إذ تحترق أعمالهم الباطلة، فإن كل واحد سيتمتع بالسماء إلى أكمل درجة يستطيعها. على أن ما يحدد درجة التمتع يكون في نمو المؤمن في المسيح وخدمته له هنا على الأرض.

في ضوء مفهوم الخلاص هذا الثُلاثي يصح أن يقول الواحد منا: "قد خُلِّصت، وأُخلّص، وسوف أُخلّص".

للمراجعة والبحث

١- هل نلت الخلاص؟ إن نعم، فكيف؟ أتستطيع شرح خطة الخلاص الإلهية لشخص آخر سواك؟

٢- ما هي طبيعة الخلاص الثانية؟ أأنت مكتفٍ بمجرد كونك قد اختبرت الولادة الجديدة؟ ما هو معنى الفداء ؟

٣- اشرح القول: "قد خُلِّصت، وأُخلّص، وسوف أُخلّص".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

قصد الله بالنعمة

إن الاختيار الإلهي هو قصد من الله بنعمته، بمقتضاه يجدد الخطاة ويقدّسهم ويمجّدهم. وهو متناغم مع حرية الاختيار لدى الإنسان، كما يشتمل على توظيف جميع الوسائل لبلوغ الغاية. فالاختيار برهان مجيد على صلاح الله المطلق وسيادته الكلية، وليس له من حدود في حكمته وقداسته وعدم تغيره. والاختيار يتنافى مع الافتخار، ويستدعي التواضع وعدم الاستكبار.

وجميع المؤمنين الحقيقيين يثبتون إلى النهاية. فالذين قبلهم الله في المسيح وقدّسهم بروحه لن يسقطوا البتة من حال النعمة، بل سيظلون ثابتين إلى النهاية. وبينما قد يسقط المؤمنون في الخطية بالإهمال والتجربة، وبذلك يُحزنون الروح القدس ويخالفون مقتضيات النعمة ويُحرّمون التعزيات ويجلبون التعبير على اسم المسيح، ويستنزلون على أنفسهم قصاصاً زمنياً من الله، فإنهم مع ذلك سوف يُحفظون، بقوة الله وبواسطة الإيمان، للخلاص النهائي.

تكوين ١٢: ١- ٣؛ خروج ١٨: ٥-٨؛ ١ صموئيل ٨: ٤- ٧، ١٩- ٢٢؛ أشعياء ٥: ١- ٧؛ إرميا ٣١: ٣١ وما يليها؛ متى ١٦: ١٨ و١٩؛ ٢١: ٢٨- ٤٥؛ ٢٤: ٢٢، ٣١؛ ٢٥: ٣٤؛ لوقا ١: ٦- ٧٩؛ ٢: ٢٩- ٣٢؛ ١٩: ٤١- ٤٤؛ ٢٤: ٤٤- ٤٨؛ يوحنا ١: ١٢- ١٤؛ ١٣: ١٦؛ ٥: ٢٤؛ ٦: ٤٤ و٤٥، ٦٥؛ ١٠: ٢٧- ٢٩؛ ١٥: ١٦؛ ١٧: ٦، ١٢، ١٧ و١٨؛ أعمال ٢٠: ٣٢؛ رومية ٥: ٩ و١٠؛ ٨: ٢٨- ٣٩؛ ١٠: ١٢- ١٥؛ ١١: ٥- ٧، ٢٦- ٣٦؛ ١ كورنثوس ١: ١ و٢؛ ١٥: ٢٤- ٢٨؛ أفسس ١: ٤- ٢٣؛ ٢: ١- ١٠؛ ٣: ١- ١١؛ كولوسي ١: ١٢- ١٤؛ ٢ تسالونيكي ٢: ١٣ و١٤؛ ٢ تيموثاوس ١: ١٢؛ ٢: ١٠ ، ١٩؛ عبرانيين ١١: ٣٩ إلى ١٢: ٢؛ ١ بطرس ١: ٢- ٥، ١٣، ٢: ٤- ١٠؛ ١ يوحنا ١: ٧- ٩؛ ٢: ١٩؛ ٣: ٢.

إن قصد الله بنعمته يتخلل الكتاب المقدس كله. فبالحقيقة، تعلّم الكلمة المقدسة أن هذا القصد المتعلّق بالفداء الشامل هو منذ الأزل. ذلك أن الله الكلي العلم قد علم قبل الخلق أن الإنسان سيُخطئ وسيحتاج إلى مخلّص. غير أن علم الله السابق بالحادثة ليس هو علة حدوثها. فهي قد حدثت من جرّاء ممارسة الإنسان لعمل إرادته الحرة. ومع ذلك، فإذ علم الله بالحادثة قصد في الأزل أن يفتدي الإنسان. وهكذا يكون المسيح هو الحمل المذبوح منذ تأسيس العالم. إذاً، كان الغفران في قلب الله قبلما كانت الخطية في قلب الإنسان. وعليه، فإن قصد الله بالنعمة يرتبط بقصده في خلاص الإنسان كليّاً- بالتجديد والتقديس والتمجيد. وهذا القصد الإلهي ينطوي على بضعة أمور.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الاختيار:

إن الاختيار هو واحد من تعاليم الكتاب المقدس العظيمة. وهو يُذكر في عدة مواضيع من العهد الجديد منها: (رومية ٩: ١١؛ ١١: ٥، ٧، ٢٨؛ تسالونيكي ١: ٤؛ ٢ بطرس ١: ١٠).

وعند النظر في عقيدة الاختيار، ينبغي التنبه لعدم الوقوع في بضعة أخطاء. فمن الواجب ألا نعظّم بعض النواحي المختصة بطبيعة الله (سيادته المطلقة وإرادته وقوته ومسرته) على حساب إهمال نواحٍ أخرى (قداسته وبره ومحبته).

وعلينا كذلك ألا ننسى إرادة الإنسان الحرة وحرية الاختيار لديه. ومن الواجب أيضاً ألا يُعد الاختيار بمثابة قصد الله لخلاص أقل عدد ممكن من الناس بدل خلاص أكبر عدد ممكن. فالكتاب المقدس يؤكد بوضوح أن الله يحب جميع البشر ويريد أن يخلص أكبر عدد ممكن منهم. وينبغي كذلك ألا يُنظر إلى الاختيار وكأن له علاقة بخلاص أفراد معينين وإهمال الجميع ما عداهم. فمثل هذا الموقف ينفي ما في الكتاب المقدس من تعاليم وفيرة تُفيد العكس. ثم إن هنالك خطأ القول بالحبري، وهو نتيجة حتمية لمثل هذا الموقف. فإذا كان بعض الناس يخلصون وسواهم يهلكون بغض النظر عما يفعلون أو لا يفعلون، فأي داعٍ إذاً لطلب الرب أو للكرازة بالإنجيل؟ غير أن حقائق الكتاب المقدس تؤكد أن الإنسان ليس دمية مشدودة بخيط. فالاختيار لا يظهر البتة في الكتاب المقدس بوصفه اختياراً آلياً أو قدراً أعمى. ذلك أن له علاقة بإله محب وبإنسان مسؤول أدبياً. ولا يظهر الاختيار أبداً كنقضٍ للإرادة الإنسانية (متى ٢٣: ٣٧ و٣٨). فانظر يوحنا ٦: ٤٤: "لا يقدر أحد أن يُقبل إلي إن لم يجتذبه الآب". "فالاجتذاب" هو مبادرة من الآب، و"الإقبال" هو استجابة من الإنسان.

إذاً، يجب التنبه إلى حقيقتين تتعلقان بالاختيار، هما سيادة الله المطلقة وإرادة الإنسان الحرة، وبكلتيهما يعلّم الكتاب المقدس في مواضع كثيرة جداً.

تعني سيادة الله المطلقة، بصورة مبدئية مجردة، أنه يستطيع أن يتصرف كما يشاء دون أية مشورة خارجية أو إذن خارجي. أما من الناحية العلمية، وكما يعلّم الكتاب المقدس، فقد وضع الله لنفسه حدوداً معينة. فبهذا المعنى يجب أن يُنظر إلى سيادته المطلقة باعتبارها قدرته على التصرف كما يشاء، مع مراعاة نواميسه الخاصة وبحسب طبيعته المتّسمة بالقداسة والبر والمحبة.

هذا من ناحية؛ ومن الناحية الأخرى يعلّم الكتاب المقدس بأن للإنسان إرادة حرة. والله قد خلقه هكذا، وبينما الإنسان حر في اختياره، فهو مسؤول عن اختياراته (تكوين ٣؛

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

رومية ١- ٣). حقيقة يجب إبقاؤها ماثلة في الذهن عند النظر في عقيدة الاختيار. وإلا فلا يكون الإنسان شخصاً حراً قادراً على التمتع بالشركة مع الله، كما يكون الله في آخر الأمر هو المسؤول عن أفعال الإنسان الخاطئة- وحاشا له ذلك!

يظهر الإنسان ذي الفكر المحدود أنه يستحيل التوفيق بين سيادة الله المطلقة وإرادة الإنسان الحرة. ولكن لا تضارب بين الأمرين في حكمة الله اللا محدودة (رومية ١١: ٣٣-٣٦). ولربما ساعدنا على فهم الحقيقة على الصعيد البشري التمثيل الإيضاحي التالي.

إن الله، في سيادته المطلقة، قد رتّب نواميس طبيعية معينة. ولكن الإنسان حر في أن يعيش بموجبها أو يخالفها. وهو في كلتا الحالتين مُلزم أن يتحمل العواقب. إلا أنه، مع ذلك، حر في أن يختار. فالأمر عينه ينطبق على نواميس الله الروحية. فللإنسان أن يختار العيش بموجبها فيُبارَك، أو يخالفها فيُلعَن. غير أن الله لا يُكره الإنسان على اختيار هذا أو ذاك.

لقد قصد الله مسبقاً أن يخلّص الإنسان، وهو قد أخذ زمام المبادرة في ذلك. فلا يمكن أن يخلص الإنسان بغير المبادرة الإلهية وقصد الله للخلاص. وأعظم ما في أمر الخلاص ليس أن الإنسان يبحث عن الله بل أن الله يبحث عن الإنسان (لوقا ١٩: ١٠).

هذا الحق المزدوج يبرز في أفسس ١: ٣- ١٣، حيث أوفى مقطع يتناول فيه بولس مسألة الاختيار، فلنلاحظ قوله في الآيتين ٤ و٥ "اختارنا" و"سبق فعيّننا". فالاختيار هو "قبل تأسيس العالم"؛ و"سبق التعيين" ترجمة لفعل يوناني معناه "وضع علامات الحدود مقاماً" (راجع الآية ١١ أيضاً). ولكن لنلاحظ أيضاً أن الله اختارنا "فيه". إذاً اختيار الله كان في المسيح، وهو تعالى قد سبق فرسم حدود الخلاص بالمحبة لا باختيار اعتباطي.

في ضوء ذلك يحسن بنا أن نشير إلى أن بولس استعمل العبارة "في المسيح" أو "فيه" عشر مرات في إحدى عشرة آية. وهكذا فإن الله قد أجرى اختياره "في فلك المسيح"، فاختار أن يخلّص جميع الذين هم "في المسيح". فالحدود التي سبق الله فرسمها هي "في المسيح"، وذلك أشبه ببناء سياج حول حقل. وقد قام الله بذلك في سيادته المطلقة. وبعمله هذا لم يستشر ولم يستأذن أحداً قط. فجميع الذين هم داخل السياج ("في المسيح") سوف يخلّصون.

أما الإنسان فهو حر في أن يختار إما الوجود "في المسيح" وإما البقاء خارجاً. ولا يعني هذا أن الإنسان يستطيع أن يفاخر بخلاصه عندما يختار المسيح. فما ذلك إلا نتيجة لمبادرة الله وقصده بالخلاص. وينال الإنسان هذا الميراث لأن الله سبق فرسم حدود

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الخلاص بحسب رأي مشيئته تعالى (الآية ١١). وعليه، فمن الواجب أن يكون "لمدح مجده" أن ينال الناس مسبقاً رجاءً "في المسيح" (الآية ١٢).

ولكن عند هذه النقطة وجّه بولس عنايته إلى إرادة الإنسان الحرة. ويظهر ذلك في قوله "فيه أيضاً إذ آمنتم" (الآية ١٣). فقد سمع قُرّاء بولس إنجيل الخلاص القاضي بأن جميع من "في المسيح" يخلصون. كان لهم أن يرفضوا الإنجيل فيبقوا في حال الضلال. غير أنهم آمنوا "في المسيح" فخلصوا بالتالي. أما أن الله قد عرف مقدّماً من سوف يؤمنون فأمرٌ غنيٌّ عن البيان. ولكن سبق المعرفة بالنسبة إلى حادثة ما ليس هو علة حدوثها، الأمر الذي تقدمت الإشارة إليه.

إن الله لا ينتهك البتة حرمة الشخصية الإنسانية. فهو لن يخلّص إنساناً رغم إرادته. إنه يقرع باب القلب، لكنه لن يفتحه عنوةً. على أنه يتجاوب، مع كل من يفتحون له باختيارهم الحر، بأن يدخل ويخلّص في النعمة بمعزل عن مجهودات الإنسان الذاتية أو استحقاقاته.

وتجدر الإشارة أيضاً إلى أن الله، وقد اختار خطة للخلاص، اختار أناساً بواسطتهم يتم توفير تلك الخطة ونشرها. هذا الأمر يظهر في اختيار إبراهيم ونسله، وفي العهد الذي قطعه الله مع إسرائيل. ومع أن إسرائيل أخفق في حفظ ذلك العهد، فمن إسرائيل طلع المسيح ليُنفِّذ في التاريخ قصد الله الأزلي المختصَ بالفداء. والذين يتبعون المسيح يُقال لهم: "جِنْسٌ مُخْتَارٌ، وَكَهَنُوتٌ مُلُوكِيٌّ، أُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ، شَعْبُ اقْتِنَاءٍ، لِكَيْ تُخْبِرُوا بِفَضَائِلِ الَّذِي دَعَاكُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى نُورِهِ الْعَجِيبِ. الَّذِينَ قَبْلاً لَمْ تَكُونُوا شَعْباً، وَأَمَّا الآنَ فَأَنْتُمْ شَعْبُ اللهِ" (١ بطرس ٢: ٩ و١٠).

يلخّص مولنز هذا كله في تعريف الاختيار، إذ يقول: "من الواجب ألا نفكر في الاختيار كأنه مجرد اختيار لمقدار من الوحدات البشرية هذا عددها من قبل الله بعمل مستقل عن اختيار الإنسان الحر وعن استخدام أية وسائل بشرية. فالله يختار أناساً يتجاوبون معه بملء اختيارهم. إنه يختار أن يصل إلى الناس من خلال قدراتهم الأصلية وبواسطة الكنيسة ومن طريق التبشير والتعليم والعمل الإرسالي. فعلينا أن نضمن الاختيار هذه العناصر كلها. وإلا، فإننا نمزّق مرسوم الله قطعتين نرمي منهما قطعة أساسية مهمة".

ويكمل استاغ (Stagg) الصورة فيقول: "يكون المرء غير حساس للحق النابض ف جميع أجزاء العهد الجديد إن هو ظن أن مصير كل إنسان قد حُتم له سابقاً. فكلمات الحق الكتابية ليست بعرض تلفزيوني للتسلية، لأنه حاشا لله أن يكون كمن يلعب بلُعب أو يحتكر بضائع. إنه يطلب أناساً يقفون بحرية مهيبة حيث يقبلون أو يرفضون الخلاص الذي لا يقدّمه إليهم إلا الله وحده".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الثبات

يعتقد المعمدانيون أن "جميع المؤمنين الحقيقيين يثبتون إلى النهاية". ولنلاحظ الصفة المنسوبة إلى المؤمنين، أعني "الحقيقيين"، بخلاف السطحيين. فكثيرون يؤمنون بالأمور المختصة بالمسيح، لكنهم لا يؤمنون به هو غير أن "الذين قبلهم الله في المسيح وقدّسهم بروحه لن يسقطوا البتة من حال النعمة، بل سيظلّون ثابتين إلى النهاية".

أما القائلون بغير هذا الاعتقاد فإنما يتمسكون بنصوص كتابية يعزلونها من سياقها أو بآيات يرون أنها تعلّم العكس. ولكن لا يجوز تأويل أي نص من الكتاب المقدس بمعزل عن قرائن العهد الجديد كله، حيث يفيد التعليم الإجمالي على نحوٍ كليّ الوضوح حقيقة ثبات القديسين إلى النهاية. ويشار أحياناً على يهوذا الاسخريوطي باعتباره مثلاً على الذين يرتدون. ولكن النظر في سيرته عن كثب يُثبت أنه ما آمن قط بالمسيح مخلّصاً له (يوحنا ٦: ٧٠). فيهوذا لم يدعُ المسيح مرة باللقب "رب" بل كان يدعوه فقط "يا سيّد" أو يا معلّم (وفي الأصل "رابي").

واضح أن المجال لا يتسع هنا للنظر في جميع المقاطع الواردة في العهد الجديد والتي تعلّم بثبات القديسين. ولكن لابد سمن الإشارة إلى بعضها على نحو يفي بالغرض.

إليك ما قاله الرب يسوع بالذات في يوحنا ١٠: ٢٨ و٢٩: "وَأَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً وَلَنْ [نفي مطلق] تَهْلِكَ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يَخْطَفُهَا أَحَدٌ [أصلاً: أي شيء، إنساناً كان أو شيطاناً أو أي أمر آخر] مِنْ يَدِي. أَبِي الَّذِي أَعْطَانِي [صيغة الفعل في الأصل كاملة تشير إلى عمل تام لا يُنقض] إِيَّاهَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْكُلِّ وَلاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ [شيءٌ] أَنْ يَخْطَفَ مِنْ يَدِ أَبِي". فليس المؤمنون هم الذين يمسكون بالله، بل إن الله هو الذي يمسك بهم في المسيح.

وفي كولوسي ٣: ٣ يعبّر بولس عن الفكرة عينها بالصورة مختلفة: "لأنكم قد متّم [بالنسبة إلى الخطية]وحياتكم [الروحية] مستترة [صيغة الكمال، أي مستترة كلياً] مع المسيح في الله". ومدار فكرة "الاستتار" في الأصل صورة القفل. فحياة المؤمن مختوم عليها بقفل مزدوج: الأول هو "مع المسيح"؛ والثاني هو "في الله". ولكي يخطف أحد المؤمن، ينبغي له أن يفتح هذا القفل المزدوج. وواضح أنه لا يقوى على ذلك إنسان ولا شيطان ولا أي أمرٍ آخر.

ونجد في ٢ تيموثاوس ١: ١٢ صورة مماثلة، حيث استخدم بولس صورة إبداع في مصرف: "لأَنَّنِي عَالِمٌ بِمَنْ آمَنْتُ، وَمُوقِنٌ أَنَّهُ قَادِرٌ أَنْ يَحْفَظَ وَدِيعَتِي إِلَى ذلِكَ الْيَوْمِ".

وطبيعة الخلاص في ذاته تؤكد حقيقة الثبات. وذلك واضح في أفسس ٢: ٨- ١٠، وإليك النص بترجمة قريبة جداً إلى الأصل اليوناني: "لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، من طريق

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الإيمَانِ؛ وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْ أنفسكم. إنه عَطِيَّةُ اللهِ. لَيْسَ مِنْ جرّاء الأَعْمَال، لئلا يَفْتَخِرَ أَحَدٌ. لأَنَّكم تحفة الله، إذ قد خُلقتم في دائرة الْمَسِيح لأجل أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ قَدْ سَبَقَ فَأَعَدَّهَا لِكَيْ نظل سالكين في نطاقها".

إن الخلاص هو عمل تتعهده نعمة الله ويقبله المسيحي المؤمن من طريق الإيمان. فمصدره ليس الإنسان ولا أعماله. وقوله "مخلصون" يعني أن الخلاص عمل كامل يُجريه الله في المؤمن. فالمسيحي المؤمن إذاً هو خليقة من خلائق الله. أما الأعمال الصالحة فليست أصل الخلاص بل ثمره. ولما كان الخلاص بمجمله من عند الله في أوله، فإن دوامه أيضاً هو من عند الله كليّاً. وعليه، فإن حصول المرء على الخلاص وثباته فيه متعلّقان على السواء بالله وليس بالإنسان.

ومن أعظم النصوص الكتابية المتعلقة بأمان المؤمن الأبدي ذاك النص الموجود في أفسس ١: ١٣ و١٤. فعندما يؤمن المرء بالمسيح، يختمه الروح القدس باعتباره مِلكاً لله، إذ يصير من خاصة الله؛ الأمر الذي تشير إليه الكلمة "المقتنى". والروح الساكن في المؤمن هو "عُرْبُونُ مِيرَاثِنَا، لِفِدَاءِ الْمُقْتَنَى [فداءً كاملاً]".

والكلمة اليونانية المترجمة عربوناً تمكن ترجمتها بتعابير متنوعة، منها "دفعة على الحساب"، "أول قسط"، "ضمانة"، "علامة العهد" الخ...

وفي لغة المعاملات التجارية باليونانية القديمة تُستعمل هذه الكلمة غالباً للإشارة إلى الدفعة الأولى التي تُعطى ضماناً لدفع الثمن الكامل لأي شيء يُشترى.

وهكذا يشتمل الفداء الكامل على التجديد والتقديس والتمجيد. أما "المُقتنى" فهو نفس الإنسان وحياته المسيحية، وقد تم شراء هذا المقتنى لقاء ثمن غال هو عمل المسيح الكفّاري (١ كورنثوس ٦: ٢٠). ومعلوم أن تجديد المؤمن وتقديسه يتمّان بعمل الروح القدس. وما ختم الروح القدس للمؤمن وسكناه فيه إلا العربون والضمان الذي يؤكد أن الله سيحفظ نفس المؤمن وحياته حتى بلوغ كمال الفداء أو التمجيد.

إذاً قد دفع الله عربونه، أي الروح القدس، ضمانة منه أنه سيحفظ ما اقتناه سالماً وسيفديه فداءً كاملاً. وغنيٌّ عن البيان أنه عندما يعقد أحد صفقة ما، فإن العربون الذي يدفعه يُعتبر جزءاً من ثمن الشراء. وإن أخفق الشاري في دفع الثمن كاملاً، يخسر العربون الذي دفعه. ففي الصورة التي يقدمها بولس، يُعتبر الروح القدس هو العربون؛ وما الروح القدس إلا الله. إذاً قد قدّم الله كينونة بالذات ضمانة منه للحفاظ على خلاص النفس التي تتّكل على المسيح آمنة مضمونة. وهل بعد ضمانة أفضل من هذه وأقوى؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هذا، وللكلمة علاقة برباط المحبة الزوجية، فضلاً عن استعمالها في المعاملات التجارية. فهي تُستعمل للإشارة إلى "خاتم الخِطبة" الذي يلبسه كل من الخطيبين علامة على الوفاء بالعهد والمُضيّ قدماً حتى الاتحاد بالزواج. فهكذا يكون الروح القدس السكان في المسيحيين الحقيقيين بمثابة خاتم الخطبة الذي يضعه المسيح في بنصر عروسه ضمانة للوصول بها إلى "عشاء عرس الخروف" (رؤيا ٢١: ٢).

المؤمن والخطية

حالما يصير المرء مسيحياً حقيقياً، يتخلّص من عقوبة الخطية القاضية بالموت الأبدي، لكنه لا يتحرر من سلطة الخطية دفعة واحدة. فما دام المؤمن في الجسد، تشب حرب أهلية في داخله بين طبيعته الجسدية والروحية. ويصف بولس في غلاطية ٥ هذا الصراع. ثم يشير في موضع آخر إلى أن أمانه وضمانه إنما هما "بالرب يسوع المسيح". والخلاصة عنده: " إِذاً لاَ شَيْءَ مِنَ الدَّيْنُونَةِ الآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ السَّالِكِينَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ بَلْ حَسَبَ الرُّوحِ" (رومية ٨: ١).

إلا أن بعضهم يقتبسون آيات معينة من رسالة يوحنا الأولى ليُثبتوا أن المؤمن لا يخطئ البتة، وأن الخطية في حياة الإنسان تبرهن أنه غير مسحي حقيقي. ولكن قراءة واعية للآيات موضوع الكلام، في ضوء صِيَغ الأفعال في اللغة الأصلية، من شأنها أن توقفنا على المعنى الصحيح.

مثلاً، تقول الآية في ١ يوحنا ٣: ٨: "من يفعل الخطية فهو من إبليس". فالفعل هنا وارد بصيغة المضارع الدال على الاستمرار في العمل ومزاولته كعادة يدرج المرء عليها. وبالتالي، تكون القراءة الحرفية هكذا: "من يتعود فعل الخطية يكون من إبليس". وهذا يعني شخصاً يعيش لأجل الخطية عمداً وكأنها غاية حياته كلها. وبديهي أن شخصاً كهذا لا يكون مسيحياً حقيقياً.

ونقرأ في الآية التاسعة: "كُلُّ مَنْ هُوَ مَوْلُودٌ مِنَ اللهِ لاَ يَفْعَلُ خَطِيَّةً، لأَنَّ زَرْعَهُ يَثْبُتُ فِيهِ، وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخْطِئَ لأَنَّهُ مَوْلُودٌ مِنَ اللهِ". وهنا أيضاً ترد الأفعال بصيغة المضارع المستمر. فالمعنى الحرفي هو "كل من هو مولود من الله لا تكون لديه عادة فعل الخطية، لأن زرع الله يظل ثابتاً فيه، وليس له القدرة على الاستمرار في فعل الخطية كعادة يمارسها".

إن غير المؤمن يعيش لأجل الخطية. إنه يسعى إليها ويترقب الفُرَص لممارستها. أما المولود من الله فله طبيعة جديدة. وهو لا يجعل ارتكاب الخطية عادة حياته. قد تقوى عليه التجربة أحياناً فيُذعن لطبيعته الجسدية، غير أنه لا يُريد ذلك في صميم ذاته المفدية. وإذا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

سقط يتوب ويطلب الغفران، وبقوة الله يجتهد ألا يخطئ. فإن الزرع الإلهي الراسخ فيه يحفظه من اكتساب عادة الإخطاء.

لننظر الآن في آيات أُخَر من رسالة يوحنا الأولى. ففي ١: ١٠ نقرأ: "إِنْ قُلْنَا إِنَّنَا لَمْ نُخْطِئْ نَجْعَلُهُ [أي الله] كَاذِباً، وَكَلِمَتُهُ لَيْسَتْ فِينَا". يرد الفعل هنا بصيغة الكمال. فهو يعبّر عن عمل تام يشمل الماضي والحاضر والمستقبل. إذاً الإشارة هنا هي إلى شخص يزعم أنه لم يخطئ قط في الماضي، ولا يخطئ الآن، ولن يُخطئ في ما بعد. وبديهي أن شخصاً كهذا سيجعل الله كاذباً حين يقول تعالى إن الجميع قد أخطأوا (رومية ٣: ٢٣). شخص كهذا ليس لديه تبكت على الخطية، ولم يكن قط مسيحياً حقيقياً. فمن المستحيل أن تكون كلمة الله فيه إطلاقاً.

ولكن لنلاحظ الآيتين ٧ و٨: "... دَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيَّةٍ. إِنْ قُلْنَا إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيَّةٌ نُضِلُّ أَنْفُسَنَا وَلَيْسَ الْحَقُّ فِينَا". وهنا أيضاً صيغتا فعل حاضرتان مستمرتان- "إن قلنا إننا نستمر دائماً دون ن تكون لنا خطية، نظل نخدع أنفسنا ولا يكون الحق فينا". هذا الكلام يخص المسيحي المؤمن، فمع أن دم يسوع المسيح يظلُّ يطهّرنا دائماً من الخطية، فإن المؤمن، في بعض الأحيان وفي حال ضعف، قد يرتكب خطية، والتفكير خلاف هذا إنما هو تضليل للذات.

غير أن الأمر المجيد بالنسبة إلى المسيحي المؤمن هو أننا "إِنِ اعْتَرَفْنَا [باستمرار] بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ" (الآية ٩). في هذه الآية أيضاً يرد الاعتراف بصيغة المضارع المستمر، بحيث يمكن ترجمة العبارة على هذا النحو "اعترفنا بين الحين والحين" أي عندما يُخطئ المؤمن. وحينما يعترف المسيحي المؤمن بخطية بين الحين والحين، يغفر له المسيح يقيناً ويطهّره من تلك الخطية، وهو يقوم بذلك على أساس دمه المسفوك لأجل خطايا البشر (الآية ٧).

ولكن هذه الحقيقة بالذات ينبغي أن تُفضي بالمسيحي المؤمن لأن يجتهد كي يتجنب الإخطاء، لأنه حين يُخطئ يُحزن الروح القدس (أفسس ٤: ٢٥- ٣٢). إنه يجلب التعيير على اسم المسيح، ويُعطّل صلاحيته كمسيحي حقيقي، ويعكّر صفو فرحه في المسيح، ويُقاسي عواقب خطيته الزمنية.

وينبغي للمسيحي أن يحذر من خطايا الإهمال كما يحذر من خطايا الأعمال. فلأن حياته مؤسسة على المسيح، فمن واجبه ألا يبني بناءً. من الأعمال العديمة النفع من الخشب والعشب والقش، بل عليه بالأحرى أن يبني بناء من الذهب والفضة والحجارة الكريمة (١ كورنثوس ٣: ١١ و١٢). وذلك لأن "عَمَلُ كُلِّ وَاحِدٍ سَيَصِيرُ ظَاهِراً لأَنَّ الْيَوْمَ [يوم المحاسبة] سَيُبَيِّنُهُ. لأَنَّهُ بِنَارٍ يُسْتَعْلَنُ وَسَتَمْتَحِنُ النَّارُ عَمَلَ كُلِّ وَاحِدٍ مَا هُوَ. إِنْ بَقِيَ عَمَلُ أَحَدٍ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

قَدْ بَنَاهُ عَلَيْهِ فَسَيَأْخُذُ أُجْرَةً. إِنِ احْتَرَقَ عَمَلُ أَحَدٍ فَسَيَخْسَرُ [المكافأة] وَأَمَّا هُوَ فَسَيَخْلُصُ وَلَكِنْ كَمَا بِنَارٍ" (١ كورنثوس ٣: ١٣- ١٥). ذلك أن نفسه "سوف تُحفظ، بقوة الله وبواسطة الإيمان، للخلاص النهائي".

للمراجعة والبحث

١- هل خلاص الله مقدم لقلة مختارة أم لجميع البشر؟ هل "الاختبار" اعتباطي من جانب الله أم أنه يشتمل أيضاً على إرادة الإنسان الحرة؟ أمن الممكن التوفيق بين سيادة الله المطلقة وإرادة الإنسان الحرة؟ ما هو المقصود باختبار الله خطة وشعباً؟

٢- ما معنى "ثبات القديسين"؟ أيعني هذا أن جميع أعضاء الكنائس سوف يُخلّصون، أو جميع المعمدانيين؟ من يتولى أمر خلاص القديسين أو المؤمنين وحفظهم؟

٣- ما علاقة الخطية بحياة المسيحي المؤمن؟ هل ضمانة المؤمن التي تؤكّدها كلمة الله تبرر وجود خطية في حياته؟ ماذا يخسر المؤمن عندما يخطئ؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الكنيسة

تتألف كل كنيسة للرب يسوع المسيح في العهد الجديد من جماعة محلية تضم مؤمنين معمدين يجتمعون معاً بمقتضى عهد الإيمان وشركة الإنجيل. على أن تراعي تلك الجماعة الفريضتين اللتين رسمهما المسيح، وتكون ملتزمة تعاليمه، وممارسة للمواهب والحقوق والامتيازات الممنوحة لها بواسطة كلمته، وساعية لنشر الإنجيل إلى أقاصي الأرض.

هذه الكنيسة هي كيان مستقل بذاته يقوم بعمله بواسطة إجراءات ديمقراطية تحت سيادة الرب يسوع المسيح. ويكون الأعضاء في مثل هذه الجماعة متساوين في المسؤولية. أما قادتها بحسب تعليم الكتاب المقدس فهم الرعاة والشمامسة.

كذلك يتكلم العهد الجديد أيضاً عن الكنيسة بوصفها جسد المسيح الذي يضم جميع المفديين على مر العصور.

متى ١٦: ١٥- ١٩؛ ١٨: ١٥- ٢٠؛ أعمال ٢: ٤١ و٤٢، ٤٧؛ ٥: ١١- ١٤؛ ٦: ٣- ٦؛ ١٣: ١- ٣؛ ١٤: ٢٣، ٢٧؛ ١٥: ١- ٣٠؛ ١٦: ٥؛ ٢٠: ٢٨؛ رومية ١: ٧؛ ١ كورنثوس ١: ٢؛ ٣: ١٦؛ ٥: ٤ و٥؛ ٧: ١٧؛ ٩: ١٣ و١٤؛ ١٢؛ أفسس ١: ٢٢ و٢٣؛ ٢: ١٩- ٢٢؛ ٣: ٨- ١١، ٢١؛ ٥: ٢٢- ٣٢؛ فيلبي ١: ١؛ كولوسي ١: ١٨؛ ١ تيموثاوس ٣: ١- ١٥؛ ٤: ١٤؛ ١ بطرس ٥: ١- ٤؛ رؤيا ٢ و٣؛ ٢١: ٢ و٣.

يتكلم العهد الجديد عن الكنيسة بوصفها جسد المسيح وعروسه في آن. إنه هو رأس الجسد (كولوسي ١: ١٨) وعريس العروس (متى ٩: ١٥؛ رؤيا ٢١: ٢). وهو مؤسس الكنيسة ومشتريها بدمه. فالكنيسة هي المؤسسة الوحيدة التي أنشأها المسيح. وقد فعل ذلك لكي يتسنى للمؤمنين المعمدين أن يتمتعوا بشركة الإيمان والخدمة في الإنجيل، وأن يقوموا بالفريضتين المرسومتين لهم، وأن يعملوا على نشر الإنجيل في جميع أنحاء الأرض من طريق ممارسة مواهبهم التي نالوها من الروح القدس.

مغزى الكلمة

إن الكلمة "كنيسة" هي ترجمة للكلمة اليونانية "إكليزيا". وهذه الكلمة اليونانية مركبة من كلمتين، هما "إك" وتعني "خارجاً من"، و"كالين" وتعني "دعا". وعليه، فمعنى الكلمة "جماعة المدعوين إلى الخارج" أو "جماعة مختارة".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وقد كان للكلمة قبل تدوين العهد الجديد استعمالان عامّان. ففي اليونانية العامة كانت الكلمة تُطلق على مجموعة من المواطنين في مدينة يونانية ذات حكم ذاتي (أعمال ١٩: ٣٩- ٤١).وقد كانت أفسس تتمتع بامتياز الحكم الذاتي، ولكن ضمن إطار قوانين الإمبراطورية الرومانية. فبهذا المعنى كانت "الإكليزيا" (المحفل) جماعة محلية تقوم بعملها، بواسطة إجراءات ديمقراطية، تحت قوانين الإمبراطورية.

أما في السبعينية، وهي الترجمة اليونانية للعهد القديم، فقد استُعملت "إكليزيا" في ترجمة الكلمة العبرية "قاهال" (جماعة أو مجمع) حيث تشير إلى أمة بني إسرائيل مجتمعة أمام الله وتحت حكمه الثيوقراطي المباشر (تثنية ٣١: ٣٠؛ قضاة ٢١: ٨). وفي العهد الجديد استعمالان من هذا القبيل (أعمال ٧: ٣٨؛ عبرانيين ٢: ١٢).

إن الكلمة "كنيسة" في العهد الجديد لا تشير البتة إلى المسيحية المنظمة أو إلى مجموعة من الكنائس. فهي تشير إما إلى جماعة محلية من المؤمنين المعمدين وإما إلى جميع المفديين على مر العصور. لذا يشدّد المعمدانيون كثيراً على الكنيسة المحلية كما هي الحال في العهد الجديد.

المسيح والكنيسة

بحسبما ورد في الأناجيل، لم يستعمل المسيح الكلمة "كنيسة" إلا في مناسبتين (متى ١٦: ١٨؛ ١٨: ١٧). ويتعلق الشاهد الأخير بالتأديب الكنسي، فيما يتعلق الأول بإفصاح المسيح عن عزمه على بناء الكنيسة. ومن المؤكد أن الشاهد الأول يتكلم عن الكنيسة بمعنى المؤسسة، وربما كان الشاهد الأخير ينحو هذا المنحى أيضاً.

فمع أن الحقائق المعلنة هنا قد تنطبق على أية كنيسة، لم يقصد المسيح كنيسة واحدة معينة بل من المؤكد أن تعاليمه قصدت الكنيسة بمعنى الشركة المسيحية (يوحنا ١٧: ٢١).

فعلى مقربة من قيصرية فيلبس، وفي أعقاب اعتراف بطرس بيسوع أنه "المسيح ابن الله الحي" (متى : ١٦: ١٦)، قال الرب بيسوع: "أنت بطرس وعلى هذه الصخرة [بترا] أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها" (الآية ١٨).

لا ينسجم مع غرض هذا الكتاب أن نسترسل في بحث المسألة المتعلقة بالفرق بين "بطرس" و"بترا"، ولكننا نكتفي بالقول إنه من غير المرجح أن يكون المقصود واحداً ما دام "بطرس" مذكّراً و"بترا" مؤنثة. وقد كانت "بترا" تُطلق على المنبسط الصخري الكبير لصالح لأن يُتخذ أساساً للبناء. أما "بطرس" فهو الحجر الصغير الذي يُقتلع من الصخرة الكبيرة ويشترك معها في الصفات عينها. على أن بعض العلماء لا يتعدّون بهذا الفارق، إذ يرون أن المسيح تكلم بالعبرية أو الآرامية حيث ينتفي مثل هذا التمييز. صحيح أن أحداً لا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يعرف اللغة التي تكلم بها المسيح على وجه التحديد، إذ ربما استخدم إحدى اللغتين المشار إليهما أو اليونانية. ولكن من المرجح جداً أن يكون متى قد حافظ على المعنى الدقيق لتصريح المسيح في اللغة اليونانية. وحيث تُستعمل "الصخرة" في العهد القديم رمزياً، فهي تشير دائماً إلى اللاهوت.

من المؤكد أن أساس الكنيسة هو المسيح، وليس بطرس أو غيره من الناس (١ كورنثوس ٣: ١١). وفيما تتنوع الآراء، حتى بين المعمدانيين، بخصوص معنى كلام المسيح هنا، يرى الكاتب الحالي أن "الصخرة" تشير إلى المسيح. فإن بطرس ما كان إلا حجراً صغيراً يشترك في طبيعة المسيح بنعمته. فالكنيسة مبنية على المسيح نفسه؛ أما حجارة البناء فهم الذين يعترفون، شأنهم شأن بطرس، بيسوع أنه "المسيح ابن الله الحي" (راجع ١ بطرس ٢: ٥).

ولربما كان العلماء قد أمضوا وقتاً طويلاً وهم يبحثون في هذه المسالة حتى فاتهم بيت القصيد في كلام المسيح. فالنص اليوناني يشدد لا على "بطرس" أو "الصخرة" بل على "كنيستي". ولما كان تلاميذ المسيح يدركون استعمال "إكليزيا" بالمفهوم اليوناني وبالمعنى العبري، فكأنما المسيح قال في الواقع: "لليونانيين كنيستهم وللعبرانيين كنيستهم، وأنا الآن سأبني كنيستي".

هنا تتوضح لنا طبيعة الكنيسة المزدوجة. فالكنيسة، من جهة، هي عامة في طبيعتها، إذ تتألف من جميع المفديين على مر العصور تحت حكم الله الثيوقراطي المباشر. وهنالك، من جهة أخرى، الكنيسة المحلية التي تقوم بعملها، ديمقراطياً وتدير شؤونها إدارة ذاتية، تحت سيادة الرب يسوع المسيح.

لقد أصبح الاستقلال الذاتي، عند كثيرين من المعمدانيين، مرادفاً للفوضى، ولا سيما عندما تقول كنيسة معمدانية أو فرد معمداني: "أستطيع أن أفعل ما يحلو لي". ولكن كليهما يجب أن يتصرفا كما يشاء المسيح. فإما أن تُنقّى العبارة "الإدارة الذاتية" من هذا المضمون؛ وإما أن تُستعمل كلمة أخرى بدلاً منها. إذاً، من الأصح والأكثر اتصافاً بالانسجام مع الكلمة المكتوبة أن نقول إن إحدى كنائس العهد الجديد هي تلك الجماعة المحلية التي تقوم بعملها بواسطة إجراءات ديمقراطية تحت سيادة الرب يسوع المسيح.

في كنيسة كهذه يكون لكل عضو حقوق وامتيازات متساوية، ولكن على الجميع أيضاً أن يتشاركوا في حمل المسؤولية على السواء. وإرادة الجماعة يجب أن تكون إرادة الجميع التي يتم بلوغها تحت سلطان روح المسيح وإرشاده.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"وأبواب الجحيم لن تقوى عليها" (متى ١٦: ١٨). غالباً ما تُفسّر هذه العبارة بمعنى أن الجحيم، أو الشر، لن يغلب الكنيسة ولن يقوى على الوقوف في وجهها. الفكرة صحيحة؛ ولكن ليس هذا ما قاله المسيح هنا. فالجحيم هنا هو في اليونانية "هادس"، أي مقر الموتى. وتُستعمل الأبواب إما للإغلاق على الذين في الداخل وإما لإبعاد الذين في الخارج. فالذين هم خارج "الهادس" لا يحاولون الدخول؛ والذين هم داخله لا يحاولون الخروج. إذاً هذه الأبواب لن تقوى على إمساك شعب المسيح داخل مقر الموتى. وهكذا نلقى هنا وعداً بالقيامة. ذلك أن كنيسة المسيح ستظل حية بعد الموت الجسدي.

مهمة الكنيسة

يقول بولس في أفسس ٣: ١٠ و١١ إن قصد الله الأزلي في المسيح سوف يُعلن "بواسطة الكنيسة". فالكنيسة إذاً في قلب قصد الله الفدائي في المسيح. والكنيسة بالمعنى العام مؤلفة من جميع المفديين بواسطة المسيح. أما الكنيسة المحلية فمؤلفة من مؤمنين معمدين. ومهمة هذه وتلك هي إذاعة بشارة الفداء في عالم هالك.

وبالعودة إلى كلام المسيح في متى ١٦، نقرأ: "وَأُعْطِيكَ مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، فَكُلُّ مَا تَرْبِطُهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاوَاتِ. وَكُلُّ مَا تَحُلُّهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاوَاتِ" (الآية ١٩). هذه الآية تُتخذ أحياناً لتأييد سلطة أرضية، حيث تُعتبر المفاتيح سياسية وروحية على التوالي، ويُناط الربط والحل بإمساك الخطايا وغفرانها. ويصرّ أنصار هذا التأويل على أن هذه الكلمات قيلت لبطرس وحده. على أن بطرس كلّم المسيح ممثّلاً جماعة التلاميذ (الآية ١٦)، وكذلك تكلم المسيح إلى الاثني عشر من خلال بطرس. وكذلك استعمل المسيح هذه الكلمات بالذات في ما يتعلق بالكنيسة أو بكنيسة ما (متى ١٨: ١٨).

يرى كاتب هذه السطور أن الآية التاسعة عشرة قد وجّهت إلى الاثني عشر باعتبارهم ممثلين لشركة الكنيسة. ومعلوم أن "المفاتيح" تُستعمل لفتح الأبواب أو إقفالها. فهذه المفاتيح إذاً إما تفتح الأبواب لملكوت السماء وإما تقفلها.

وتُعتبر مفاتيح الملكوت أنها الإنجيل الذي ودعه المسيح في كنيسته. فإذا كانت الكنيسة تربط الإنجيل على الأرض بعدم إذاعته، فإن السماء سبق أن رسمت أنه ما من طريق آخر يستطيع به الناس أن يخلصوا ويدخل ملكوت السماء. ولكن إذا كانت الكنيسة تحل الإنجيل على الأرض بإذاعته، فإن السماء سبق أن رسمت أن الناس سوف يسمعونه فيؤمن بعضهم، والذين يؤمنون يخلصون، أو يدخلون ملكوت السماء. يا له من امتياز عظيم ويا لها من مسؤولية خطيرة!

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في ضوء هذا يمكننا أن نفهم أمر المسيح بتبشير العالم (متى ٢٨: ١٨- ٢٠؛ لوقا ٢٤: ٤٤- ٤٩؛ يوحنا ٢٠: ٢١- ٢٣؛ أعمال ١: ٨). وهذه هو معنى ١ بطرس ٢: ٤- ١٠. فالكنيسة هي شعب الله الحقيقي. وفي ضوء هذا يمكن أن تعتبر رسالة العبرانيين دعوة إلى إقامة الإرساليات العالمية. وهذا هو معنى رؤيا ٢٢: ١٧).

يُترجم موفات فيلبي ٣: ٢٠ بالقول: "ولكننا نحن مستوطنة سماوية..." فبموجب النظام الروماني، كانت بعض المدن تُكافأ على الأمانة في الخدمة بأن تُجعل مستوطنات. وكان أهل هذه المستوطنات يحرسون المنطقة المحيطة بهم ويتولون شؤونها الأمنية. ثم إن مواطني هذه المستوطنات كانوا يعيشون على نحو يجعل الآخرين يرغبون في أن يصيروا مواطنين رومانيين. فقد كانت المستوطنات أجزاء صغيرة من روما مُقامة في الإمبراطورية.

وعليه، فإن ما يعنيه بولس هو أنه كما كانت فيلبي مستوطنة بهذه الصفة فكذلك كانت الكنيسة مستوطنة سماوية. لقد كانت جزءاً صغيراً من السماء مقاماً في عالم وثني. وكان ينبغي لمواطني هذه المستوطنة أن يثبّتوا في بيئتهم مبادئ السماء، كما كان من واجب كل عضو أن يعيش عيشة ترغّب الآخرين في أن يصيروا مواطنين في مملكة الله. هذا القول ينطبق على كل كنيسة محلية.

الكنيسة والملكوت

ثمة آراء مختلفة في ما يتعلق بالملكوت. وفيما يفرق بعضهم بين "ملكوت الله" و"ملكوت السماوات"، يبدو لي أن كتّاب الإنجيل لا يراعون مثل هذا التفريق. فالعبارتان تُستعملان بالتبادل في تدوين تعليم المسيح نفسه (متى ١٣: ١١، ٣١؛ مرقس ٤: ١١، ٣٠؛ لوقا ٨: ١٠). ولنلاحظ أن مرقس ولوقا استعملا "ملكوت الله" فيما استخدم متى "ملكوت السماوات".

إن ملكوت الله بمعناه الأشمل هو حكم الله في الكون الذي يراه. فهو يحكم جميع خلائقه: الملائكة والبشر والأبالسة والطبيعة. إذاً الكنيسة جزء من أجزاء ملكوت الله. فالكنيسة الجامعة، يوصفها مؤلفة من جميع المفتديين، هي في ملكوت الله. أما الكنيسة المحلية فهي مستوطنة على الأرض لذلك الملكوت. وفي أعقاب رجوع الرب والدينونة سيملك الله على خليقة مفتداة (١ كورنثوس ١٥: ٢٤- ٢٨)؛ وعلى الشيطان وملائكته وغير المؤمنين الذين في الجحيم (رؤيا ٢٠: ١٠- ١٥)؛ وفي السماء على الملائكة الأطهار ومفديي جميع العصور (رؤيا ٢١و ٢٢).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وقد جاء المسيح ليقيم حكم الله ليس فقط في قلوب الناس، بل على كل ما في الكون. وقد أثبت أن ادعاء الشيطان السيادة على العالم هو ادعاء باطل. وكلما خضعت إحدى النفوس لله بواسطة المسيح تدخل ملكوت الله بقبولها الطوعي لحكم الله. وهكذا يصير كل من يؤمن عضواً في الكنيسة الجامعة. وبالمعمودية يصير المؤمن جزءاً من شركة الكنيسة المحلية. ويمكن التمييز بين الكنيسة والملكوت باعتبار الكنيسة، الجامعة والمحلية، ذلك الجزء من ملكوت الله المكلّف نشر حكم الله في قلوب البشر. فالكنيسة دون أية مؤسسة أخرى هي التي أُعطيت مفاتيح الملكوت.

وبينما يضم المرء إلى الكنيسة العامة من طريق الولادة الجديدة، فهو يصير جزءاً من الكنيسة المحلية من طريق المعمودية بعد الإيمان. فقد أعطى المسيح الكنيسة المحلية فريضتي المعمودية وعشاء الرب، لكي تشهد الكنيسة بممارستها عن عمله الخلاصي في محيطها. إذاً الخلاص مرادف للانضمام إلى الكنيسة العامة، ولكن هذا الأمر لا يصح على اكتساب العضو في الكنيسة المحلية. فليس الانضمام إلى الكنيسة المحلية مرادفاً للخلاص. ذلك أن التعبير الذي يُستعمل في العهد الجديد بالنسبة إلى علاقة المسيحي بالكنيسة المحلية هو "الشركة" وليس "العضوية".

يشدد العهد الجديد التشديد الأكثر على الكنيسة المحلية، لاحظ مثلاً "كنيسة الله في كورنثوس" (١ كورنثوس ١: ٢؛ ٢ كورنثوس ١: ١) و"كنائس غلاطية" (غلاطية ١: ٢). فالكنيسة المحلية هي المظهر المنظور عملياً للكنيسة العامة في مكان وزمان معلومَين. وعليه، تكون الكنيسة المحلية كياناً ديمقراطياً خاضعاً لسيادة المسيح، يُمارس إدارة شؤونه الخاصة: من اختيار الشمامسة (أعمال ٦: ١- ٦) وممارسة الفريضتين (أعمال ٢: ٤١ و٤٢)، والموافقة على خدمة التبشير (أعمال ١١: ١- ١٨)، وإرسال المرسلين وتلقّي تقاريرهم (أعمال ١٣ و١٤)، وتطبيق التأديب الكنسي.

كانت كل واحدة من كنائس العهد الجديد وحدة قائمة بذاتها لا تمارس أية سلطة على سواها من الكنائس ولا تحكمها كنيسة أخرى أو هيئة مسيحية ما. ولكن فيما كانت الكنائس مستقلة، فبالتوافق كانت تتعاون في المسائل ذات الاهتمام المتبادل، كالتعلم وإعانة الكنائس الأخرى. فالمعمدانيون أناس مستقلون يمارسون استقلالهم من طريق التعاون الطوعي.

قادة الكنيسة المحلية

إن القادة في الكنيسة المحلية في العهد الجديد هم الرعاة والشمامسة (فيلبي ١: ١). وتُدعى الوظيفة عينها بأسماء مختلفة: أسقف، شيخ، راع. أما صفات الرعاة والشمامسة فمعروضة في ١ تيموثاوس ٣ (بخصوص الشمامسة راجع أيضاً أعمال ٦: ٣).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

والكلمة "أسقف" تعريب لكلمة يونانية تعني ناظراً، أي شخصاً يتولى مراقبة أعمال الآخرين للتأكد من حسن أدائها. أما الكلمة "شيخ" فهي ترجمة لكلمة يونانية تفيد التقدم في السن. وكانت هذه الكلمة عند اليهود تُطلق على الشخص الذي أكسبه العمر الطويل وقاراً وحكمة. لكنها بالمعنى المسيحي كانت تُطلق على أولئك الذين يشرفون على الجماعات الكنسية. وفي هذا إشارة إلى القادة في الكنيسة. ويتضمن الاسم نفسه وظيفة المرشد. أما الكلمة "راع" فواضح أنها تشير إلى الشخص الذي يتعهد القطيع ويطعمه.

يظهر من أعمال ٢٠: ٢٨ أن هذه الكلمات الثلاث تشير إلى الخدمة عينها. فهذا الكلام موجه إلى شيوخ الكنيسة في أفسس (الآية ١٧، حيث "قسوس" هي نظيرة للكلمة "شيوخ" معربة عن السريانية). ففي أعمال ٢٠: ٢٨ نقرأ: "... أساقفة كنيسة الله" (وهنا يمكن استبدال الكلمة "نظّاراً" بالكلمة "أساقفة"). وفي تيطس ١: ٥- ٧ تُستعمل الكلمات "شيخ و"أسقف" بالتبادل. وقوله في أعمال ٢٠: ٢٨ "لترعوا" يكمل الصورة التي تبين أن الكلمات الثلاث نصف الوظيفة عينها. ففي العهد الجديد لا تشير الكلمة "أسقف" البتة إلى شخص يترأس مجموعة من الكنائس. وكذلك تشير الكلمة "شيخ" (أو قسيس) بالمعنى المسيحي إلى الخدمة عينها التي يشغلها الأسقف أو الراعي.

وبينما لا تظهر الكلمة "شماس" في أعمال ٦: ١- ٨، يشير المقطع على الأرجح إلى أصل هذه الوظيفة. وتعني الكلمة اليونانية شخصاً يخدم غيره، بالأعمال الوضيعة في الواقع، كخادم أو عبد. وقد عدّ بولس نفسه عبداً، اقتداءً منه بالمسيح سيّده (متى ٢٠: ٢٨؛ كولوسي ١: ٢٥). وقد دُعي "الأنبياء الكذبة" خداماً (أو شمامسة) للشيطان (٢ كورنثوس ١١: ١٥).

كان الشمامسة يخدمون الكنيسة في الشؤون المادية والروحية على السواء (أعمال ٦: ٢ إلى ٧: ٦٠؛ ٨: ٥- ٤٠). وقد كان استفانوس، شهيد المسيحية الأول، شماساً. ولنلاحظ أن الكنيسة أصابت نجاحاً وازدهاراً لما أدى الرعاة والشمامسة على السواء عملهم بأمانة (أعمال ٦: ٧).

ولا يعني وجود وظيفتين مرسومتين أنه لا يحق للكنيسة أن تعيّن فعلة آخرين، كالمعلمين والمرشدين مثلاً، للقيام بمختلف النشاطات الكنسية. فمن الممكن اختيار فعلة كهؤلاء بحسبما تدعو الحاجة، غير أن القادة المرسومين هم الرعاة والشمامسة.

مركز النشاط والولاء:

لما كان ينبغي لقصد الله الأزلي من جهة الفداء أن يتم "بواسطة الكنيسة" (أفسس ٣: ١٠ و١١)، فإن هدف المؤمن الأول يجب أن يعمل على تحقيق هذا القصد. وبما أن الكنيسة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المحلية هي المركز لتحقيق هذا القصد، فينبغي أن يكون نشاط المسيحي وولاؤه جاريَين من خلال شركة الكنيسة المحلية التي هو جزء منها.

قد يكون ثمة قضايا ومؤسسات تستحق أن ينخرط المرء فيها لخدمة المجتمع. ولكن ينبغي ألا يتم ذلك على حساب إهمال المرء لمسؤوليته في كنيسته ومن خلالها. فههُنا يجب أن يكون الصالح عدواً للأصلح.

قد يستخف بعض الناس بالكنيسة، غير أنها ما تزال هي جسد المسيح وعروسه التي شاء أن يقوم بعمله من خلالها. فإذا كان المسيحي المؤمن يريد أن يكون حيث العمل جار، فعليه أن يكرّس نفسه للمسيح في الكنيسة ويمارس نشاطه من خلالها.

للمراجعة والبحث

١- ما معنى الكلمة "كنيسة"؟ ما هو غرض الكنيسة وما عملها؟

٢- ادرس معنى "كنيستي" في متى ١٦: ١٨. ماذا يعلّمك ذلك بشأن طبيعة الكنيسة؟ ما معنى "الثيوقراطية" و"الديمقراطية" بالنسبة إلى الكنيسة؟ كيف يمكن أن يُساء استخدام الكلمة "استقلال" أو "حكم ذاتي"؟

٣- ما العلاقة بين الكنيسة وملكوت الله؟

٤- هل الكنيسة المحلية التي أنت عضو فيها هي مركز الخدمة والولاء عندك؟ إن كان لا، فلمَ لا تكون؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المعمودية وعشاء الرب

المعمودية المسيحية هي تغطيس المؤمن في الماء باسم الآب والابن والروح القدس. وهي فعل طاعة يصوّر رمزياً إيمان المسيحي بالمخلص الذي صُلب ودفن وقام، كما يصور موت المؤمن بالنسبة إلى الخطية ودفن الحياة القديمة والقيامة للسير في جدّة الحياة في المسيح يسوع. والمعمودية أيضاً شهادة من المسيحي المؤمن لإيمانه بقيامة الأموات الأخيرة. ولكونها فريضة كنسية، فهي شرط سابق لامتياز عضوية الكنيسة والاشتراك في عشاء الرب.

أما عشاء الرب فهو فعل طاعة رمزي فيه يقوم أعضاء الكنيسة، من خلال الاشتراك في الخبز ونتاج الكرمة، بإحياء ذكرى موت الفادي وإعلان الرجاء بمجيئه الثاني.

متى ٣: ١٣- ١٧؛ ٢٦: ٢٦- ٣٠؛ ٢٨: ١٩ و٢٠؛ مرقس ١: ٩- ١١؛ ١٤: ٢٢- ٢٦؛ لوقا ٣: ٢١ و٢٢؛ ٢٢: ١٩ و٢٠؛ يوحنا ٣: ٢٣؛ أعمال ٢: ٤١ و٤٢؛ ٨: ٣٥- ٣٩؛ ١٦: ٣٠- ٣٣؛ أعمال ٢٠: ٧؛ رومية ٦: ٣- ٥؛ ١ كورنثوس ١٠: ١٦، ٢١؛ ١١: ٢٣- ٢٩؛ كولوسي ٢: ١٢.

كان للكنيسة في العهد الجديد فريضتان، هما المعمودية وعشاء الرب، وكانتا تتمان وفقاً لهذا الترتيب (أعمال ٢: ٤١ و٤٢). وكلتا الفريضتين ذات معنى رمزي لا سرّي مقدس.

لا ترد في العهد الجديد بتةً الكلمةُ "فريضة" بالإشارة إلى المعمودية أو عشاء الرب مباشرة. وفي كلا العهدين عدة كلمات تترجم بالتعبير "فريضة"، إلا أنها ذات صلة بالقوانين أو الأحكام أو المراسيم. والكلمة قريبة بمعناها إلى "الوصية" أو "المرسوم". وبهذا المعنى تُطلق على المعمودية وعشاء الرب، إذ أوصى الرب يسوع أتباعه بحفظها (متى ٢٨: ١٩؛ لوقا ٢٢: ١٩؛ ١ كورنثوس ١١: ٢٣- ٢٦). هاتان الفريضتان تصوّران رمزياً ما فعله المسيح لخلاص الإنسان، وما يعمله في المؤمن، والإيمان برجوع الرب ومضامينه.

المعمودية

الكلمة اليوناني المترجمة "معمودية" تفيد التغطيس بمياه غامرة. وقد استُعملت في اليونانية الكلاسيكية للإشارة إلى التغطيس بالماء أو غرق السفن، كما استُعملت في الترجمة السبعينية بالإشارة إلى غطس نعمان السرياني في الأردن (٢ ملوك ٥: ١٤).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أما العهد الجديد فيستعمل الكلمة بعدة معان: غسل الجسم أو اليدين بمياه غامرة (مرقس ٧: ٤؛ لوقا ١١: ٣٨)؛ الدخول في غمرة الألم (متى ٢: ٢٢ و٢٣؛ مرقس ١٠: ٣٨ و٣٩)؛ إتمام المعمودية.

ارتبطت المعمودية في العهد الجديد بخدمة يوحنا المعمدان والرب يسوع المسيح كليهما. وقد كانت معمودية يوحنا رمزاً لتوبة الإنسان عن الخطية، ولرغبته في الاشتراك بملكوت الله (متى ٣: ٦- ٨؛ لوقا ٣: ٣- ١٦). أما اعتماد المسيح بمعمودية يوحنا (متى ٣: ١٦) فلم يكن للدلالة على التوبة بل للمصادقة على خدمة يوحنا، ولتقديم قدوة لأتباعه، ولتكريس نفسه علناً لخدمته الفدائية. وبمعموديته، له المجد، صوّر رمزياً موته ودفنه وقيامته. وبذلك تم الانتقال من معمودية يوحنا إلى المعمودية المسيحية. وواضح أن أعمال ١٩: ١- ٥ يبين بجلاء أن بين المعموديتين فرقاً.

يحسن بنا الآن أن نشير إلى الصيغتين الاسميتين الدالتين على المعمودية. فإحداهما هي "بابتيزموس" وتدل على الفعل في ذاته، وهي مستعملة في العهد الجديد ثلاث مرات فقط دون أن تدل مرة واحدة على المعمودية المسيحية (مرقس ٧: ٤؛ عبرانيين ٦: ٢؛ ٩: ١٠). أما الكلمة الثانية فهي "بابتيزما"، وتُضمِّن المعنى المرتبط بالفعل. هذه الكلمة ترد في العهد الجديد اثنتين وعشرين مرة.

مع إبقاء معنى "بابتيزما" في أذهاننا، لنحاول الإجابة عن السؤالين التاليين: ما هي أهمية المعمودية المسيحية؟ أهي في طبيعتها سر مقدس وأمر لا بد منه للخلاص، أم أنها رمزية في جوهرها؟ إن الكلمة بحد ذاتها تؤيد الأمر الأخير بقوة. أما فكرة التجديد بالمعمودية فلم تظهر في التعاليم المسيحية إلا في أواخر القرن الثاني وأوائل الثالث. وفي القرن الأول حاول بعض المعلّمين المبتدعين أن يقحموا في خطة الخلاص شيئاً آخر غير النعمة من طريق الإيمان (أعمال ١٥؛ غلاطية ٢؛ كولوسي ٢: ١٦- ٢٣). إلا أن جميع المحاولات من هذا القبيل رفضها المسيحيون الأولون.

ولكن في أواخر القرن الثاني وأوائل الثالث صار اعتقاد التجديد بالمعمودية مقبولاً عند بعض الفئات. لكن ما يبعث على السرور هو أن أقلية ظلّت متمسكة بالإيمان المبني على العهد الجديد. وما زالت الفكرة القائلة بأن المعمودية سر مقدس فكرة تعتنقها فئات دينية تضم الكثيرين.

وتورَد جملة شواهد من الكتاب المقدس لدعم هذه الفكرة. ولكن عندما ننظر إلى تلك الآيات في ضوء سياقها الصحيح، لا تعود صالحة للبرهنة. ومن البديهي أنه لا يجوز تفسير آية واحدة أو مقطع واحد من الكتاب على نقيض التعليم الشامل في العهد الجديد كله. فالعهد الجديد يعلّم كثيراً عن الخلاص بمعزل عن المعمودية (لوقا ١٣: ٣، ٥؛ ١٥: ٧؛ يوحنا ٣:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

١٦- ١٨؛ ٥: ٢٤؛ أعمال ١٦: ٣٠ و٣١؛ رومية ١٠: ٨- ١٠؛ أفسس ١: ١٣ و١٤؛ ٢: ٨- ١٠؛ ١ بطرس ١: ١٨- ٢٣؛ يوحنا ٥: ١٠- ١٢).

ولكن ماذا نقول في بعض الآيات البيّنات، كالقول: "إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللَّهِ" (يوحنا ٣: ٥)؟ يقيناً أن الاختلاف الكثير على معنى "من الماء" يجعل هذه الآية أساساً متزعزعاً لفكرة الولادة الجديدة بالمعمودية. وعدم وجود هذه العبارة في الآيات ٣ و٧ و١٦ من الفصل عينه هو حجة قوية ضد هذه الفكرة. فالولادة "من الماء والروح" هي نقيض الولادة "من الجسد" كما يُفهم من الآية السادسة.

أما تفسير القول: "توبوا، وليعتمد كل واحد منكم... لغفران الخطايا" (أعمال ٢: ٣٨)، فيتعلق بمعنى حرف الجر في القول "لغفران". فهذا الحرف في الأصل (أيس) قد يعني "لأجل" أو "إلى" أو "بسبب"" أو "على أساس" أو "بالنظر إلى" أو "نتيجة لـ". واختيار المعنى المناسب يتعلق بقرينة الكلام، وهي في هذه الحال العهد الجديد بكامله. ففي متى ١٢: ٤١ يُترجم هذا الحرف بحرف الجر "ب" (وكذا في لوقا ١١: ٣٢)، حيث نُفاد أن أهل نينوى تابوا "بمناداة" يونان. فهم تابوا نتيجة لكرازة يونان لهم، ولم يتوبوا ليتسنى ليونان أن يكرز لهم. وهكذا يتضح أن المقصود هنا هو النتيجة، لا الغاية. وليس بخاف من أن من معاني حرف الجر "ل" في العربية التعليل أو الإشارة إلى السبب.

وعليه، فالمعنى المعقول هو مؤدى القول: " تُوبُوا وَلْيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ... [لسبب من، أو نتيجة لـ، أو على أساس] غُفْرَانِ الْخَطَايَا". وهذا المعنى موافق لما يعلم به العهد الجديد كله عن المعمودية. فجدير بنا أن ننتبه دائماً إلى أن المسيح قد أكمل كل ما هو ضروري لخلاص الإنسان، إلا أنه ما عمد أحداً قط (يوحنا ٤: ٢). وكذلك كان بولس هو رسول الأمم، ومع ذلك أشار صراحة إلى أنه قد أُرسل ليبشّر بالإنجيل، لا ليعمّد (١ كورنثوس ١: ١٤- ١٧).

وأما أن التغطيس كان هو الطريقة الأصلية للمعمودية فأمر متفق عليه عموماً. فمعنى الكلمة الأصلي يفيد أنه لا السكب ولا الرش يُعتبر معمودية بحسب العهد الجديد. وبسبب من اعتناق فكرة حصول الولادة الجديدة بالمعمودية نشأت ممارسة سكب الماء على جسد المريض كله. وقد دُعيت هذه المعمودية "العِماد العِيادي". وفي ما بعد بات الماء يُسكب على الرأس فقط. ومما تجدر ملاحظته أن العهد الجديد لا يستعمل أياً من الفعلين "سكب" و"رش" للدلالة على المعمودية، مع أنهما يظهران مراراً. وليس من استعمال يبرّر استخدام "بابتيزو" بمعنى السكب أو الرش. أما ممارسة الرش للمعمودية فقد حلّت بالتدريج محل التغطيس في الكنيسة الكاثوليكية، ثم لما انقسمت تلك الكنيسة إلى فرع روماني وفرع

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يوناني، تمسك الفرع الثاني بممارسة التغطيس. ولم يصبح الرش هو الأسلوب المتبع رسمياً في الكنيسة الكاثوليكية الرومانية إلا في القرن الثالث عشر.

وما زال في وسع من يزور فلورنسة بإيطاليا أن يرى بيت المعمودية الذي يعود عهده إلى القرن الحادي عشر، وفيه غُطّس دانته (Dante). في وسط ذلك المبنى جرن معمودية ضخم، وفي إحدى الزوايا جرن أصغر كان الأطفال يغطّسون فيه، وعلى أحد الجدران صورة زيتية تمثّل يوحنا المعمدان وهو يغطّس المسيح في الأردن. وفي بعض الكنائس الكاثوليكية التي بُنيت في أوروبا قبل القرن الثالث عشر صور زيتية أو فسيفسائية تمثل المسيح وهو يعمّد بالتغطيس. ويُقر الكاثوليكيون أنهم غيّروا طريقة المعمودية وحسب. إلا أن التغيير الذي لحق الطريقة جاء بعد التغيير الذي طرأ على المعنى.

ولكن المعمدانيين يرفضون كلا التغييرين، وذلك على أساس البيّنات الظاهرة في العهد الجديد. فالمعمودية إنما هي للمؤمنين وحدهم، وهي تصوّر الخلاص رمزياً، غير أنها لا تسبب الخلاص بحال من الأحوال. وبديهي أن يرفضوا معمودية الأطفال. ذلك أن المعمودية بحسب العهد الجديد، وإن كانت غير لازمة للخلاص، ينبغي أن يُمارسها فقط أولئك الذين قاموا بتسليم أنفسهم للمسيح تسليماً واعياً من طريق الإيمان الشخصي به.

أما سبب رفض المعمدانيين لمعمودية السكب أو الرش فواضح تماماً. فهذه الطريقة ليست هي معمودية العهد الجديد، وفي خلفيتها تحريف للمعنى. ولكن لماذا يرفض المعمدانيون معمودية من يمارسون التغطيس لأجل الخلاص؟ إن المبدأ عينه ينطبق هنا أيضاً.

وما دامت المعمودية هي للمؤمن، فإن العهد الجديد يحدد معناها الصحيح والطريقة الصحيحة للتعبير عن هذا المعنى. أما المعنى فهو صورة رمزية لعمل المسيح الفدائي لأجل المؤمن وفيه. ولا يعبّر عن هذا المعنى إلا التغطيس. ولكن إذا مارست جماعة ما الطريقة الصحيحة فيما المعنى عندها منوط بسر مقدس ما، لا تكون المعمودية صحيحة بحسب العهد الجديد. فإن تغيرت الطريقة ضاع المعنى، وإن تغير المعنى فقدت الطريقة أهميتها المرتبطة بتعليم العهد الجديد.

فالمعمودية هي فريضة عند الكنائس المعمدانية إذ تشير علناً إلى التوبة والإيمان. لذا، فإن المؤمن المعمَّد يتمتع بامتياز عضوية الكنيسة والاشتراك في عشاء الرب وشركة المؤمنين.

عشاء الرب

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن عشاء الرب هو الفريضة الكنسية الأخرى (متى ٢: ٢٦- ٢٩؛ مرقس ١٤: ٢٢- ٢٥؛ لوقا ٢٢: ١٧- ٢٠؛ ١ كورنثوس ١١: ٢٣- ٢٦). وإذا درسنا النصوص المشار إليها مقارنين بعضها ببعض، يتبين لنا أن يهوذا الاسخريوطي كان قد غادر العلية قبل رسم العشاء. فالعشاء هو للمؤمنين المعمدين فقط. ولا شك في أن يهوذا قد تعمد، غير أنه لم يكن مؤمناً.

أما العنصران اللذان استُعملا في العشاء، فكانا الخبز الفطير و"نتاج الكرمة". ويُلاحظ أن الكلمة "خمر" غير مستعملة، إلا أن بعضهم يفسّرون "نتاج الكرمة" بمعنى "الخمر". ولكن لما كان الخبز فطيراً، أي غير مختمر، أفلم تكن الكأس أيضاً عصير عنب؟ إن الخمر هي حصيلة عصير العنب والتخمير الذي تحدثه جرثومة معينة. فبما أن كلا العنصرين يرمزان إلى جسد المسيح الطاهر ودمه الزكي، يحسن بنا التوقف عند هذه النقطة الدقيقة. والكاتب الحالي يرى أن "نتاج الكرمة" هو عصير عنب نقي غير ملوث بأي تخمير.

ثمة أربعة آراء بشان عشاء الرب معروفة تاريخياً. فالكاثوليكيون يؤمنون بالاستحالة، أي العنصرين يتحولان فعلاً بالقداس إلى جسد المسيح ودمه. واللوثريون يؤمنون باتحاد جسد المسيح ودمه بعنصري عشاء الرب، أي بحضور جسد يسوع ودمه في العنصرين. وهنالك طوائف أخرى تؤمن بأن العشاء هو وسيلة نعمة. فبصرف النظر عن الرأيين السابقين، يرون أن الإنسان يقتبل النعمة من طريق الاشتراك في العشاء. وواضح أن جميع هذه الآراء تتميز بطابعها السري المقدس، ولو على تفاوت. أما المعمدانيون فيؤمنون أن العنصرين إنما يصوّران رمزياً جسد المسيح ودمه، دون أن يكون للاشتراك فيهما أية فاعلية خلاصية.

فلما قال المسيح: "هذا هو جسدي" ثم "هذا هو دمي" (متى ٢٦: ٢٦ و٢٧) لم يكن يعني أن العنصرين تحولا فعلاً إلى جسده ودمه، مثلما لم يعنِ عندما قال "أنا هو الباب" (يوحنا ١٠: ٩) أنه بالفعل ثغرة في جدار أو قطعة من خشب. فهو في الحلين كان يتكلم رمزياً. وهكذا لا يكون العنصران إلا رمزين يشيران إلى جسده ودمه. ويصور العنصران- شأنهما شأن المعمودية- ما فعله المسيح لأجل خلاص الإنسان. فكلتا الفريضتين وسيلة إيضاح عيانية يصور بها المؤمن علاقته الخلاصية بيسوع المسيح من حيث أساسها واختبارها.

لم يحدد المسيح متى ينبغي للمؤمنين أن يحفظوا عشاء الرب، ولا تكراره. لكنه رسمه مساء الخميس، وحفظه مسيحيو العهد الجديد في يوم الرب. ويقول الرسول بولس: "كُلَّمَا أَكَلْتُمْ هَذَا الْخُبْزَ وَشَرِبْتُمْ هَذِهِ الْكَأْسَ تُخْبِرُونَ بِمَوْتِ الرَّبِّ إِلَى أَنْ يَجِيءَ" (١

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كورنثوس ١١: ٢٦). وينبغي أن يؤخذ الخبز والكأس "لذكري" كقول المسيح (٢٤ و٢٥). وهكذا فالمعمودية وعشاء الرب معاً ينظران للوراء إلى ما أتمه المسيح للخلاص، وللأمام إلى مجيئه الثاني المجيد.

وكلتا الفريضتين موعظة رمزية تشير إلى عمل المسيح الفادي وعودته الموعودة. أما المعمودية ففريضة استهلالية أن يقوم بها المؤمن مرة واحدة فقط. وأما عشاء الرب ففريضة استمرارية يجب أن يقوم بها المؤمن على فترات محددة طيلة عمره إلى أن يعود المسيح.

بحسب العهد الجديد يحق للمؤمنين المعمدين أن يشتركوا في عشاء الرب. وترى بعض الكنائس المعمدانية أنه ينبغي للمرء أن يكون عضواً في الكنيسة التي بها يشترك في العشاء، تمسكاً بأنه يجب أن يكون متمتعاً بشركة الكنيسة التي يتقدم فيها إلى العشاء، وخاضعاً لتأديبها (١ كورنثوس ١١: ٢٠- ٣٤). ومعظم الكنائس المعمدانية تعتقد أن أي عضو في أية كنيسة معمدانية يحق له الاشتراك.

ومن ذا يستحق أن يشترك في العشاء؟ لا أحد إلا بنعمة الله. والعبارة "بدون استحقاق" في ١ كورنثوس ١١: ٢٩ هي في الأصل ظرف يخص العادة، ويُشار به إلى الطريقة التي بها يشترك المشترك في العشاء. فمن الواجب أن يكون عشاء الرب فرصة لامتحان الذات وإعادة تكريس النفس للمسيح.

وينبغي أن تُقال كلمة وجيزة في التهمة الموجهة إلى المعمدانيين بأنهم "ذوو شركة منغلقة". فبادئ ذي بداءة، ليس عشاء الرب شركة بين أناس بل بين المؤمن والرب. والكلمة "شركة" تستعمل مرة واحدة فقط بالإشارة إلى عشاء الرب (١كورنثوس ١٠: ١٦). وموضوع الكلام هنا (١ كورنثوس ١٠: ١٦- ٣٣) هو المؤمن الذي يأكل من اللحم المقرّب للأوثان. فقد كان بولس يفكّر في اتحاد المسيحي بالمسيح.

إن جميع الكنائس المسيحية التي تمارس المعمودية تعتقد أنها يجب أن تسبق عشاء الرب. والمعمدانيون يقولون القول نفسه. ولكن المسألة هي: ما هو قوام معمودية العهد الجديد؟ وعليه، فالفرق بين المعمدانيين وسواهم كامن في هذه النقطة لا في مسألة عشاء الرب. وبالتالي، فإذا كان المعمدانيون "منغلقين" في شيء، فإنما هم "عماديون منغلقون".

وبما أن المعمودية وعشاء الرب مقدّمان باعتبارهما فريضتين أو وصيتين من فم الرب يسوع، فينبغي لكل مؤمن أن يحفظهما. أما الإخفاق في ذلك فهو عدم إطاعة لمشيئة الرب.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

للمراجعة والبحث

١- ما معنى الكلمة "فريضة"؟ وهل فرائض العهد الجديد ذات طبيعة سرية مقدسة أم هي ذات طابع رمزي؟ ما الفرق بين هاتين الفكرتين؟ إلى ماذا يرمز كلا المعمودية وعشاء الرب؟

٢- ما هو موقف الكنيسة التي تنتمي إليها بالنسبة إلى المشتركين في حفظها لعشاء الرب؟

٣- هل يُعتبر المعمدانيون "ذوي شركة منغلقة" أو "ذوي معمودية منغلقة"؟ وما الفرق بين هذين التعبيرين؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يوم الرب

أول يوم من الأسبوع هو يوم الرب. وهو اليوم الذي درج المسيحيون على حفظه دورياً. إنه إحياء لذكرى قيامة المسيح من بين الأموات، وينبغي قضاؤه في ممارسة العبادة والتكريس الروحي، علناً وسراً على السواء، وبالإقلاع عن التسليات العالمية، والاستراحة من الأشغال الزمنية، باستثناء أعمال الرحمة والأعمال الضرورية.

خروج ٢٠: ٨- ١١؛ متى ١٢: ١- ١٢؛ ٢٨: ١ وما يليه؛ مرقس ٢: ٢٧ و٢٨؛ ١٦: ١- ٧؛ لوقا ٢٤: ١- ٣، ٣٣- ٣٦؛ يوحنا ٤: ٢١- ٢٤؛ ٢٠: ١، ١٩- ٢٨؛ أعمال ٢٠: ٧؛ ١ كورنثوس ١٦: ١ و٢؛ كولوسي ٢: ١٦؛ ٣: ١٦؛ رؤيا ١: ١٠.

كان اليوم السابع من الأسبوع في العهد القديم مقدساً باعتباره سبتاً للرب (خروج ٢٠: ٨- ١١). والكلمة "سبت" تعني راحة. وهكذا تشير الكلمة "سبت" إلى الغرض الذي خُصص اليوم له، وليس إلى العدد الترتيبي لذلك اليوم. فقد كان واجباً أم يُخصص للراحة يوم واحد من سبعة أيام.

أما رقم ذلك اليوم فمصدره أنه في اليوم السابع استراح الله من عمل الخلق. وهكذا يُحيي اليوم السابع ذكرى انتهاء الله من عمل الخلق، فضلاً عن كونه يوم راحة. ولهذا كان يوماً مقدساً.

وفي الأناجيل، حفظ المسيح وتلاميذه اليوم السابع باعتباره سبتاً. فقد كان يهوداً، وكان السبت يومهم المخصص للراحة والعبادة، إذ كان ذلك اليوم مقرراً لإراحة الجسد والروح وتجديد نشاطهما.

وفي أيام المسيح كان معلّمو الدين اليهود قد استنبطوا أكثر من ألف وخمس مئة قاعدة سلوكية تهدف إلى تنظيم حفظ السبت.

وبذلك صار ذلك اليوم عبئاً أكثر منه بركة. وقد تجاهل يسوع هذه القواعد، إلا أنه لم ينقض قط الوصية الرابعة كما قصد الله أن تُحفظ.

كان في اليهودية أربعة أمور يجري التشديد عليها، وهي الهيكل، والتوراة، والتقاليد، والسبت. وكان في الديانات الأخرى ما يعادل الثلاثة الأول، فيما كان السبت خاصاً باليهود فقط. لذلك كان قادة الدين اليهود حساسين تجاه هذه النقطة إلى حد فائق للمعتاد. ولأن يسوع لم يأبه بتنظيماتهم العديدة، فقد كان دائماً على خلاف معهم بخصوص حفظ السبت (متى ١٢: ١- ١٤؛ مرقس ٢: ٢٣ إلى ٣: ٦؛ لوقا ٦: ١- ١١؛ يوحنا ٥: ١- ٤٧).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وقد كان موقف يسوع الواضح أن "السَّبْتُ إِنَّمَا جُعِلَ لأَجْلِ الإِنْسَانِ لاَ الإِنْسَانُ لأَجْلِ السَّبْتِ. إِذاً ابْنُ الإِنْسَانِ هُوَ رَبُّ السَّبْتِ أَيْضاً" (مرقس ٢: ٢٧ و٢٨)، إذ كان ينبغي أن يكون السبت بركة للإنسان، لا عبئاً عليه. وقد وضع يسوع ذلك اليوم في مكانه الصحيح بحسب قصد الله، وعلّم بأن ثلاثة أمور يجب أن يقوم بها الإنسان في السبت: الأعمال الضرورية، الرحمة، العبادة (متى ١٢: ٣- ٥، ٩- ١٣).

والمسيحيون الأولون الذين كانوا من أصل يهودي، كانوا يشاركون اليهود في العبادة، سواء في الهيكل أو في المجامع. وكان من عادة بولس وبرنابا أن يؤمّا المجامع أيام السبت لأنهما يجدان فيها أناساً يستطيعان أن يكرزا لهم بالإنجيل.

يوم الرب

يرد التعبير "يوم الرب" (في صيغته الأصلية التي تعني "اليوم الخاص بالرب") في العهد الجديد مرة واحدة فقط (رؤيا ١: ١٠). والمرجح أنه يُشار به في ذلك الموضع إلى اليوم الأول من الأسبوع.

وليس في العهد الجديد وصية محددة تقضي بتحويل اليوم السابع إلى اليوم الأول. على أنه من الواضح أن المسيحيين الأولين خصّصوا اليوم الأول من الأسبوع للعبادة، بعد قيامة المسيح. ويُشار إلى اجتماع المسيحيين للعبادة يوم الأحد في غير موضع من العهد الجديد (أعمال ٢٠: ٧؛ ١ كورنثوس ١٦: ٢).

يُشير أنصار اليوم السابع إلى أن يوم الأحد كان في الأصل مخصصاً لعبادة الشمس عند الوثنيين. ولكن أول الأسبوع في المسيحية ليس على علاقة، لا من قريب ولا من بعيد، بأية عبادة وثنية، بل هو شيء خاص بالممارسة المسيحية.

ومثلما يُخلِّد اليوم السابع ذكرى إكمال الله للخلق، فإن يوم الرب يخلِّد إتمام عمل الفداء. وقد أُقيم المسيح من بين الأموات في اليوم الأول من الأسبوع. فكان طبيعياً إذاً أن يجتمع التلاميذ معاً في ذلك اليوم ليسمعوا ويتناقلوا الأخبار المختصة بالرب المقام. وقد ظهر المسيح مرتين لجماعة التلاميذ المجتمعة في يومي أحد متواليين (يوحنا ٢٠: ١٩ و٢٦). أما ظهوره مساء الأحد الذي قام فيه، فأمر طبيعي. ولكن لماذا انتظر إلى الأحد التالي ليظهر مرة ثانية؟ لعله فعل هذا ليشجّع أتباعه على تخصيص يوم الأحد للاجتماع للعبادة.

وكان يُعتقد أن التعبير "يوم الرب" هو تعبير مسيحي بحت. إلا أن الاكتشافات بينت أن الرومان استعملوا هذا التعبير للإشارة إلى الأيام المخصصة لإكرام الإمبراطور. وهذه العادة تلقي ضوءاً على استخدام هذا التعبير في العهد الجديد. فقد كُتب سفر الرؤيا على

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأرجح خلال حكم دوميتيان (٨١- ٩٦ م)، وقد لقد المسيحيون الاضطهاد لأنهم رفضوا أن يقولوا "القيصر رب" (رومية ١٠: ٩؛ ١ كورنثوس ١٢: ٣). فمن المحتمل أن المسيحيين، احتجاجاً منهم على عبادة القيصر، اتخذوا هذا التعبير للدلالة على اليوم الذي فيه يُحيون ذكرى قيامة الرب. فبالقيامة ثبت حقاً وبكل جلاء أن المسيح هو الرب.

وأية علاقة لنا أن نراها بين السبت العبري ويوم الرب المسيحي؟ بما أن معنى "سبت" هو راحة، ففي هذا هما مرتبطان. أحدهما يُخلِّد ذكرى استراحة الله من عمل الخلق؛ والآخر يحتفل بذكرى استراحته من عمل الفداء الكامل.

وفي هذه النقطة أيضاً يختلف الأحد المسيحي عن السبت العبري. فالسبت إقرار، أما يوم الرب فاحتفال، إذ فيه يعبد المسيحيون الله لا خالقاً وحسب بل فادياً أيضاً.

ومؤكد أن يوم الرب ينبغي أن يكون يوماً يستريح فيه المسيحيون المؤمنون من كل أعمالهم الزمنية غير الضرورية. وقد ينطبق هنا حسناً تعليم المسيح بخصوص السبت من حيث القيام فقط بأعمال الرحمة والضرورة والعبادة. وحقيقة كون اليوم قد جُعل لأجل الإنسان، لا الإنسان لأجل اليوم، لا تدع مجالاً لإساءة استعماله عند المسيحيين المؤمنين كما يُساء استعماله عند غيرهم. فمن الواجب أن يكون يوماً مكرساً للراحة والعبادة.

وقد صدق آستاغ (Stagg) إذ قال في تحديد الفرق بين يوم الرب والسبت اليهودي: "كان السبت يوم استراحة من العمل، أما يوم الرب فمعناه الحقيقي كامن في تشديده على ناحية إيجابية هي تخليد ذكرى قيامة المسيح. ولا يكون لهذا اليوم معنى مسيحي إلا بالنسبة إلى أولئك الذين يعرفون المسيح المُقام. وخير حفظ ليوم الأحد هو في الاجتماع والعبادة والشهادة عن المسيح الحي... والأمل في إعطاء اليوم معناه المسيحي قائم في كون المسيح يصبح في حضوره معنا الآن حقيقياً جداً بحيث تحرِّكنا تلك القوة الدافعة التي جمعت حفنة من المؤمنين الأولين المتحمّسين الذين سرّهم أن يعلنوا على الملأ: (هو الرب! قد قام!)".

للمراجعة والبحث

١- ما معنى الكلمة "سبت"؟ كيف صار معناها مرتبطاً باليوم السابع؟ أي الأمرين أهم: رقم هذا اليوم أو غرضه؟

٢- لماذا يحفظ معظم المسيحيين أول يوم من الأسبوع؟ ما الفرق في المعنى بين "يوم السبت" و"يوم الرب"؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٣- ماذا كان قصد المسيح من قوله إن السبت جُعل لأجل الإنسان، وليس الإنسان لأجل السبتِ؟ أفي هذا ما يبرر جعل يوم الأحد حراً من كل قيد؟ ما هي الأعمال التي علّم المسيح بأنه يليق القيام بها في هذا اليوم؟ ما أهمية هذا التعليم نسبةً إلى عصرنا المعقَّد؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ملكوت الله

إن ملكوت الله يشمل في آن واحد سيادته العامة على الكون كله ومُلْه المخصوص على الناس الذين بإرادتهم يعترفون به ملكاً لهم. وبالمعنى الحصري، فالملكوت هو دائرة الخلاص التي يدخلها الناس من طريق التسليم الواثق ليسوع المسيح. وينبغي للمسيحيين المؤمنين أن يصلوا ويعملوا لكي يأتي الملكوت وتكون مشيئة الله على الأرض. أما بلوغ الملكوت ذروته الكاملة فتسبقه عودة الرب يسوع وانقضاء هذا الدهر.

تكوين ١: ١؛ أشعياء ٩: ٦ و٧؛ إرميا ٢٣: ٥ و٦؛ متى ٣: ٢؛ ٤: ٨- ١٠، ٢٣.

من "معاني الملكوت" في اليونانية، فضلاً عن المملكة، المُلك، السلطان الملوكي والحكم الملوكي. فهو إذاً يحمل فكرة السيادة. وبمعناه الدنيوي قد يشير إلى المملكة التي يسود عليها ملك ما. لكن حين يُستعمل عن الله يُشير إلى حكمه الملكي أو سيادته. إذاً، بدل ملكوت الله على سيادة الله المطلقة سواء في الكون الطبيعي أو الكون الروحي- بما في ذلك قلوب الناس الذين يُخضعون أنفسهم لحكم الله طائعين. وقد سبق أن أشرنا في الفصل السابع إلى أن "ملكوت الله" و"ملكوت السماوات" تعبيران يستخدمهما كتّاب مختلفون في العهد الجديد للدلالة على شيء واحد بعينه، كذلك أشرنا أيضاً إلى أن الكنيسة، وإن كانت في الملكوت، ليست هي كامل الملكوت.

الملكوت باعتباره سيادة إلهية

نستخدم "السيادة" هنا للإشارة إلى حُكم الله سواء في الكون أو في قلوب المؤمنين. إن الله، بوصفه الخالق، له حق السيادة. وإذ يقدم الكتاب المقدس هذا الحق الواضح ذاتياً، يبين أيضاً أن الشيطان نازع الله في هذا الحق مدّعياً لنفسه السيادة (لوقا ٤: ٦ و٧). وقد كان القصد من تجسد المسيح إثبات بطلان دعوى الشيطان (١ يوحنا ٣: ٨)، وهو- له المجد- أتم ذلك بموته وقيامته.

هذا الأمر تثبت صحته لدى التدقيق في معنى الكلمة اليونانية المترجمة "قوة" أو "سلطانا"، أعني بها "إكسوسيا" (exousia). فمعنى هذه الكلمة الحرفي هو "خارجاً من الكيان" أي القوة أو السلطة الممارسة صدوراً عن طبيعة الكيان. وحينما تستعمل عن الشيطان تعمي الحكم الطاغي، أما حينما تُستعمل عن الله فتعني الحكم الخيّر.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

طبيعة الملكوت

لما سأل بيلاطس يسوع عن مملكته، قال: "مملكتي ليست من هذا العالم" (يوحنا ١٨: ٣٦)، أي أنها ليست صادرة من هذا العالم. فهي ليست ذات طبيعة عالمية وما كانت لتوطد بوسائل عالمية. إن مملكته هي مملكة الحق الذي جاء ليشهد له (الآية ٣٧). و"الحق" مرتبط بالخلاص، كما أن النعمة والحق مترابطان. ولكن في إنجيل يوحنا لا تُستعمل الكلمة "نعمة" بعد ١: ١٧، فيما تُستعمل "الحق" مراراً وتكراراً (خمساً وعشرين مرة في إنجيل يوحنا). وعليه، يمكننا أن نفهم الحق متضمناً النعمة أيضاً.

وهكذا، ففيما يقدم العهد الجديد سيادة الله على الكون المادي، يظهر التشديد الأكثر على سيادة الله في قلوب جميع الذين يقبلون إلى الرب يسوع المسيح مخلّصاً لهم. وقد حرص المسيح على التنبيه إلى أن مملكته ليست ملكاً أرضياً على رقعة معينة: "وَلاَ يَقُولُونَ: هُوَذَا هَهُنَا أَوْ: هُوَذَا هُنَاكَ لأَنْ هَا مَلَكُوتُ اللهِ دَاخِلَكُمْ" (لوقا ١٧: ٢١). فمن الواضح أن الفكرة هي أن ملكوت الله ليس كياناً سياسياً ظاهراً للعيان، بل هو ملك الله بين الناس وداخلهم. وبعض المعمدانيين وغيرهم يعتقدون أن المسيح بعد عودته سيملك على الأرض ألف سنة. غير أن ما يعتقد المرء بهذا الخصوص ليس امتحاناً لسلامة العقيدة بين المعمدانيين.

قلنا، بالحقيقة، أن نعتبر الملكوت أنه قد جاء عندما ظهر الملك، وأنه آتٍ بمعنى كونه موطداً في قلوب المؤمنين، وأنه سيأتي بعد برجوع الرب لإتمام مقاصد الله في آخر الزمان. وقد علّم المسيح أن الملكوت هو هنا، كما علّم تلاميذه أن يصلّوا طالبين مجيء الملكوت، وأنه عند انقضاء الدهر سيأتي الملك بقوة عظيمة ومجد.

المسيحي المؤمن والملكوت

بوصف المؤمن المسيحي مواطناً في ملكوت الله، ما هو دوره في إتيان الملكوت؟ أعليه أن يُقيم الملكوت أو أن يذيعه؟ إن العهد الجديد يعلّم بأن للمؤمن دوراً في إعلان الملكوت. وعليه أن يصلّي لأجل إتيان الملكوت وإتمام مشيئة الله على الأرض كما هي في السماء (متى ٦: ١٠). كذلك عليه أن يسعى لتحقيق ملكوت الله بإعلانه للهالكين (متى ٦: ٣٣). غير إن إقامة الملكوت هي من عمل الله في المسيح بالروح القدس (١ كورنثوس ١٥: ٢٤- ٢٨).

وينبغي للإنسان أن يقبل ملكوت الله، كما ينبغي للمسيحيين المؤمنين أن يعلنوه. ولكن الله وحده هو الذي يحقق إتمام الملكوت والوصول به إلى ذروته النهائية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

للمراجعة والبحث

١- هل التعبيران "ملكوت الله" و"ملكوت السماوات" مترادفان؟

٢- ما هي طبيعة ملكوت الله؟

٣- ما هي غاية التاريخ؟ أثمة بيّنات اليوم على أن الله يوجه الأحداث نحو قصده الفدائي النهائي؟

٤- ما هو مكان الإنسان بالنسبة إلى ملكوت الله؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أمور الآخرة

إن الله، في وقته المعين وبطريقته الخاصة، سيأتي بالعالم إلى نهايته المناسبة. والرب يسوع المسيح، بحسب وعده، سيعود إلى الأرض شخصياً وعلنياً في مجده. وسيُقام الأموات، ويدين المسيح جميع البشر بالبر. أما الأشرار فسوف يُرسلون إلى الجحيم، مكان العقاب الأبدي. وأما الأبرار بأجسادهم المُقامة والممجدة فسينالون مكافآتهم ويسكنون إلى الأبد مع الرب في السماء.

أشعياء ٢: ٤؛ ١١: ٩؛ متى ١٦: ٢٧؛ ١٨: ٨ و٩؛ ١٩: ٢٨؛ ٢٤: ٢٧، ٣٠، ٣٦، ٤٤؛ ٢٥: ٣١- ٤٦؛ ٢٦: ٦٤؛ مرقس ٨: ٣٨؛ ٩: ٤٣- ٤٨؛ لوقا ١٢: ٤٠، ٤٨؛ ١٦: ١٩- ٢٦؛ ١٧: ٢٢- ٣٧؛ ٢١: ٢٧ و٢٨؛ يوحنا ١٤: ١- ٣؛ أعمال ١: ١١؛ ١٧: ٣١؛ رومية ١٤: ١٠.

"الأُخرَويّات" اصطلاح يُطلق على العِلم بأمور الآخرة. ومما يؤسف له أن هذا التعبير يُركز على انقضاء الدهر، في حين أن "الأُخرَويّات" تتضمن معنى أشمل بالفعل. فهي تشير إلى غاية التاريخ أو نهايته. ولكنها تعني أيضاً أن الله فعال في التاريخ، يوجهه نحو تلك الغاية.

يتحدث الناس عما تم من الأُخرَويّات، وما لم يتم منها. ويُقصد بالشق الأول أن ملكوت الله قد جاء فعلاً. فبتجسُّد المسيح تدخل الله في مجرى التاريخ الطبيعي ليوجهه إلى الغاية الموافقة لقصده الفدائي. أما الشق الثاني فيُشار به إلى تحقيق ذلك القصد نهائياً، عندما يعود المسيح ليفدي المخلصين الفداء الكامل ويدين الهالكين. بهذا المعنى الثنائي يمكن للمرء أن يفهم حضور المسيح الآن وعودته الموعودة. ويتحدث كتّاب العهد الجديد عن العيشة في "الأيام الأخيرة". وينبغي لنا ألا نفهم هذا فقط في ضوء روزنامة البشر، بل بالأحرى في ضوء قصد الله. فقد يُشير التعبير "الأيام الأخيرة إلى آخر الزمان، أو قد يُعتبر شاملاً للفترة الممتدة من قيامة المسيح وصعوده إلى عودته المرئية في المجد. ولابد لنا من النظر في بضع نقاط تخص رجوع الرب وانقضاء الدهر، على أن تبقى الأمور المذكورة هنا ماثلة في أذهاننا.

تعليم المسيح في هذه القضية

واضح تماماً أن المسيح علّم برجوعه عند انقضاء الدهر (متى ١٦: ٢٧؛ يوحنا ٥: ٢٨ و٢٩؛ ١٤: ٢). وقد نشأ جدال حول متى ١٦: ٢٨: "إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ هَهُنَا قَوْماً لاَ يَذُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوُا ابْنَ الإِنْسَانِ آتِياً فِي مَلَكُوتِهِ". فبعضهم يأخذون الكلام على حرفيته ويذهبون إلى أن المسيح أخطأ في تقدير الوقت. ولكن يجب ألا ننسى أن أية حادثة في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

التاريخ كانت تُعتبر في الفكر اليهودي دخولاً من قِبل الله في التاريخ. من هذا المنظور يربط آخرون بين هذه الآية وحادثة تجلي المسيح، أو قيامته، أو خراب أورشليم السنة ٧٠ م. غير أن الاثني عشر تلميذاً كلّهم عاشوا إلى ما بعد الحادثة الأولى من هذه الثلاث، وجميعهم ما عدا يهوذا ظلوا على قيد الحياة على ما بعد الثانية. إلا أن بعضاً منهم فقط كانوا أحياء عند حصول الثالثة. فيبدو مرجحاً أن هذه الحادثة الأخيرة تفي بكلام المسيح، إذ بسقوط أورشليم صارت المسيحية تُعتبر منفصلة عن اليهودية. ولما تحررت المسيحية على هذا النحو، باتت قادرة على الانتشار بقوة أعظم.

وأوفى خطاب تعليمي قدّمه المسيح بخصوص انقضاء الدهر نجده في متى ٢٤ و٢٥ (راجع أيضاً مرقس ١٣؛ لوقا ٢١: ٥- ٣٦). هذه المقاطع المتماثلة تتناول الحوادث التالية: خراب أورشليم ؛ رجوع الرب، انقضاء الدهر.

وقد حذّر المسيح من العلامات الزائفة على مجيئه (متى ٢٤: ٤- ٧). وقال إنه عندما يأتي يراه الجميع (٢٤: ٢٣- ٣١). وأفاد أن مجيئه الثاني، مؤكد، مثله مثل سقوط أورشليم (٢٤: ٣٢- ٣٥). غير أن الوقت المحدد لذلك هو في فكر الآب (٢٤: ٣٦؛ مرقس ١٣: ٣٢؛ أعمال ١: ٧). ويُلاحظ أن المسيح قال إنه حتى هو لم يعلم الوقت المعين (الآية ٣٦). ففي ناسوته قبل مثل هذه الحدود. وقد تكلم فقط بما قاله له الآب (يوحنا ٥: ٣٠؛ ٧: ١٦؛ ٨: ٢٦). والآب لم يقل له ما يختص بهذا. وإذا كان المسيح، بوصفه ابن الإنسان، لم يعلم الوقت المعين لهذا، فمن العبث أن يحاول الناس تحديده. وقد قال المسيح إن الحياة ستستمر في مجراها العادي، وفي أثناء ذلك تأتي الآخرة (متى ٢٤: ٣٧- ٤١). وعليه، فإن عودة الرب يسوع قريبة الحدوث في كل حين. لذاك السبب ينبغي أن يكون المؤمنون أيقاظاً ومشتغلين بأمور الرب كل حين (٢٤: ٤٢- ٤٦). كذلك قدم المسيح في متى ٢٥ أمثالاً تختص بانقضاء الدهر.

لم يتكلم المسيح قط عن عودته من حيث الوقت بل من حيث الظرف: "متى جاء ابن الإنسان في مجده" (متى ٢٥: ٣١). فعندما يصير الظرف مؤاتياً، يكون قد آن الأوان (راجع أيضاً متى ٢٤: ١٥، ٢٣، ٣٣؛ ٢٦: ٢٩). إذاً، عندما يرى الله أن الظرف بات مناسباً، فآنذاك يكون وقت الرب. ونجد في متى ٢٤: ١٤ الكلمة الفصل التي قالها المسيح بخصوص وقت عودته: "وَيُكْرَزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ هَذِهِ فِي كُلِّ الْمَسْكُونَةِ شَهَادَةً لِجَمِيعِ الأُمَمِ. ثُمَّ يَأْتِي الْمُنْتَهَى". ولكن الوقت هنا أيضاً مرهون بالظرف. فينبغي للمسيحيين المؤمنين أن يجتهدوا لتوفير الظرف، تاركين الوقت المعين في يد الله.

إذاً، علّم المسيح بأن عودته مؤكدة ووشيكة، وأنها ستكون مفاجئة وكونية، وأن على شعبه أن يكونوا أيقاظاً ومجتهدين لتوفير الظرف المناسب في قلوب البشر، وأن الآب وحده

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يعرف الوقت المحدد. وعندما يرجع المسيح ستحدث القيامة التي ستعقبها الدينونة والخلاص، تبعاً لعلاقة المرء بالمسيح. وقد كان الرب يسوع واضحاً في تعليمه عن مجيئه الثاني.

رجاء المؤمنين المبارك

كتب بولس إلى تيطس أن علينا نحن المسيحيين المؤمنين أن: "نَعِيشَ بِالتَّعَقُّلِ وَالْبِرِّ وَالتَّقْوَى فِي الْعَالَمِ الْحَاضِرِ، مُنْتَظِرِينَ الرَّجَاءَ الْمُبَارَكَ وَظُهُورَ مَجْدِ اللهِ الْعَظِيمِ وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (تيطس ٢: ١٢ و١٣). أما أن هذا "الرجاء المبارك" كان حقيقة ملموسة عند مسيحيي القرن الأول، فذاك أمر واضح جلياً من سفر الأعمال حتى الرؤيا. وقد نظر كاتب الرسالة إلى العبرانيين للوراء بإيمان إلى مجيء المسيح أول مرة وللأمام بيقين إلى مجيئه ثانية (عبرانيين ٩: ٢٨). وبدأ قوم مستهزئون يشكّون في مسألة رجوع الرب وهم يحكمون بحسب روزنامة البشر. إلا أن بطرس أكد أن رجوع الرب حتمي وفقاً لجدول الله الزمني، وعلى ذلك الأساس حرّض المؤمنين على عيشة القداسة (٢ بطرس ٣).

وقد كان المسيحيون الأولون متيقنين تماماً من قرب عودة الرب حتى إنهم فكروا في إمكان حدوثها إبان حياتهم. وهم لم يكونوا على ضلال في هذا، كما يرى بعض الشكاكين، بل كانوا يفعلون تماماً كما أوصى به المسيح (١ كورنثوس ١٥: ٥١). فلابد أن يكون جيل ما على قيد الحياة عندما يعود المسيح. وكان جيل بولس هو الجيل الوحيد على قيد الحياة آنذاك. ومتى حدث ذلك فإنه يكون "في لحظة" (الآية ٥٢). ففي وقت أصغر من أن يُقسم، سيظهر المسيح. وسيكون ذلك "في طرفة عين"، أي في لُحيظة، أو بسرعة خاطفة. عند ذاك "يُقام الأموات عديمي فساد، ونحن نتغير" (الآية ٥٢). وهنا أيضاً نلاحظ الضمير "نحن".

وكان مؤمنو تسالونيكي في غمّ، ظناً منهم بأنهم سيؤخذون ليكونوا مع الرب عند عودته فيتركون موتاهم الأحباء المؤمنين يتخلفون عنهم (١ تسالونيكي ٤: ١٣- ١٨). فطمأنهم بولس إلى أنه في تلك الحادثة "الأَمْوَاتُ فِي الْمَسِيحِ سَيَقُومُونَ أَوَّلاً" أي قبل أخذ الأحياء (الآية ١٦). "ثُمَّ نَحْنُ [لنلاحظ استعمال "نحن" هنا أيضاً] الأَحْيَاءَ الْبَاقِينَ سَنُخْطَفُ جَمِيعاً مَعَهُمْ فِي السُّحُبِ لِمُلاَقَاةِ الرَّبِّ فِي الْهَوَاءِ، وَهَكَذَا نَكُونُ كُلَّ حِينٍ مَعَ الرَّبِّ" (الآية ١٧).لسنا نلمح هنا أي ظلٍّ للشك. وهذا يجب أن يكون هو "الرجاء المبارك" لكل مسيحي حقيقي.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مسائل تختص بأمور الآخرة

بما أن العهد الجديد يرسم فقط الخطوط العريضة في ما يتعلق بأمور الآخرة، فمن المتوقع أن تنشأ بعض المسائل المتعلقة بتفسير التفاصيل. فالمفسرون مثلاً يختلفون حول عدد المجيئات والقيامات والدينونات، وبشأن الملك الألفي وتفاصيل أخرى معينة متعلقة بانقضاء الدهر. ولكن مجال الكتاب الحالي لا يتسع لمناقشة هذه الاختلافات. إنما يكفي أن نقول إن موقف المرء من التفاصيل ما كان قط امتحاناً لصحة العقيدة بين المعمدانيين.

يؤمن المعمدانيون أن المسيح آتٍ ثانية. والأموات سيُقامون. وفي أعقاب الدينونة، سوف يكون المخلّصون مع الرب إلى الأبد في المجد، فيما يكون الهالكون مع إبليس إلى الأبد في الجحيم (رؤيا ٢٠: ١٠ إلى ٢٢: ٥). أما مصير المرء، أي ذهابه إلى السماء أو الجحيم، فلن يُحدد عند الدينونة، إذ إنها ستُعلن فقط الحالة التي يقيم فيها المرء منذ موته، أو الحالة التي سيُقيم فيها الأحياء عند رجوع الرب. ولسوف تكون تلك الحالة أبدية. أما الدينونة فتحدد درجات المكافأة في السماء أو العقاب في جهنم.

وفي هذه الأثناء، فإن "الرُّوحُ وَالْعَرُوسُ يَقُولاَنِ: «تَعَالَ». وَمَنْ يَسْمَعْ فَلْيَقُلْ: «تَعَالَ». وَمَنْ يَعْطَشْ فَلْيَأْتِ. وَمَنْ يُرِدْ فَلْيَأْخُذْ مَاءَ حَيَاةٍ مَجَّاناً" (رؤيا ٢٢: ١٧).

والرب يقول: "ها أنا آتي سريعاً". كما أن جميع من عندهم الرجاء المبارك يقولون: "آمين، تعال أيها الرب يسوع" (رؤيا ٢٢: ٢٠).

للمراجعة والبحث

١- ما الفارق بين ما تم من الأُخرويّات وما لم يتم؟

٢- ما هي العلامات التي حذّر المسيح منها بخصوص انقضاء الدهر؟

٣- ما علاقة قُرب الحدوث بعودة المسيح؟ فارق في هذا المجال بين الظرف والوقت المعين؟

٤- إذا عاد المسيح اليوم، فماذا يجدك تفعل؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

التبشير والإرساليّات

إنه لواجب وامتياز لكل واحد من أتباع المسيح، ولكل كنيسة من كنائس الرب يسوع المسيح، أن يُبذل كل جهد لتطويع تلاميذ للمسيح من جميع الأمم. فالولادة الجديدة لروح الإنسان بروح الله القدوس تعني ولادة المحبة نحو الآخرين. فالعمل الإرسالي من جانب الجميع أساسه إذاً الحاجة الروحية إلى الحياة الجديدة. وهو أمر توصي به تعاليم المسيح بصورة صريحة مراراً وتكراراً. فمن واجب كل ولد من أولاد الله أن يسعى دائماً لربح الصالين وإرجاعهم إلى المسيح من طريق الجهد الشخصي وسائر الأساليب الأخرى الموافقة لإنجيل المسيح.

تكوين ١٢: ١- ٣؛ خروج ١٩: ٥و ٦؛ أشعياء ٦: ١-ر ٨؛ متى ٩: ٣٧ و٣٨؛ ١٠: ٥- ١٥؛ ١٣: ١٨- ٣٠؛ ٣٧: ٤٣.

إن التبشير والإرساليّات- بأبسط عبارة- تتضمن إطلاع المرء الآخرين على ما ناله. ذلك أن الإنسان يصير مسيحياً حقاً بقبول البشارة قبولاً كاملاً. والذي يقبل البشارة يتمم دوره، بوصفه مسيحياً مؤمناً، بإيصال هذه البشارة إلى الآخرين. وهكذا يكون التبشير امتيازاً وواجباً في آن. فعندما يحصل المرء على طبيعة جديدة بواسطة تجديد الروح القدس، تصير له محبة للآخرين من شأنها أن تقوده إلى أن يريد لهم أن يختبروا اختباره.

يمكننا إرجاع مصدر التبشير والإرساليّات إلى قلب الله بالذات، والآية في متى ٢٨: ٧ توحي بذلك إيحاءً ظاهراً. فقد أرسل الله ملاكاً ليدحرج الحجر عن باب القبر الفارغ ويبشّر النسوة بأن المسيح قد قام. ثم قال الملاك: "اذْهَبَا سَرِيعًا قُولاَ لِتَلاَمِيذِهِ: إِنَّهُ قَدْ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ. هَا هُوَ يَسْبِقُكُمْ إِلَى الْجَلِيلِ. هُنَاكَ تَرَوْنَهُ. هَا أَنَا قَدْ قُلْتُ لَكُمَا". هذه العبارة الأخيرة هي آخر ما قاله الملاك كما هو مدون. فالملاك قد أكمل رسالته. ومنذئذ استقرت مسؤولية نقل البشارة على عاتق كل من سمعها.

هكذا كانت الحال دائماً،وهكذا ستبقى أبداً. فالذين قبلوا الإنجيل عليهم أن يذيعوه. هذا الواجب وضعه الله على عوائق البشر المفديين، لا الملائكة. فإذا أحجم الناس عن إذاعة البشرى، فهي تبقى مكتومة.

مأمورون بالتبشير

عهد المسيح، بعد قيامته، إلى تلاميذه بعدة مأموريات (متى ٢٨: ١٨- ٢٠؛ لوقا ٢٤: ٤٦- ٤٩؛ يوحنا ٢٠: ٢١- ٢٣؛ أعمال ١: ٨). وإذا حللنا متى ٢٨: ١٨- ٢٠، وقفنا على

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أمور بالغة الأهمية. فهذه المأمورية العظمى قدّمها المسيح القائم من الموت بعدما أتم عمله الفدائي. وعلى شعب المسيح أن ينفّذوا هذه المأمورية بحضوره الدائم معهم بروحه.

لم يأمرهم المسح بمجرد الذهاب. فهو لم يكن يحتمل لحظة فكرة عدم ذهابهم. بل إنه أوصاهم بأن "يذهبوا ليتلمذوا". فالأمر المطلوب هو اقتياد الناس كي يصيروا تلاميذ للمسيح، أي ليقبلوه رباً ومخلّصاً. وبعد أن يفعلوا هذا، يكون على الرسل أن يعمّدوهم ثم يعلّموهم (باستمرار) أن يحفظوا جميع ما أوصى ه المسيح.

إن الذين كلّمهم المسيح بهذا الكلام كانوا هم الرسل مع بعض الآخرين. ويُذكر هنا أن "بعضهم شكّوا" (الآية ١٧)، مما قد يعني أن الذين شكّوا ربما لم يروا يسوع حياً بعد قيامته. فهذه المأمورية لم يُعهّد بها إلى قلة مختارة بل إلى جميع أتباع المسيح. والحق أن المأمورية أُعطيت إلى الكنيسة (أفسس ٣: ٩- ١١). فالتبشير عمل كل واحد من المسيحيين المؤمنين.

حياة الكنيسة

إن حياة الكنيسة هي في التبشير والعمل الإرسالي. هذا الأمر صحيح من الناحية العددية حتى بالنسبة إلى المعمدانيين، الذين لا يمارسون تعميد الأطفال ولا يعتمدون التلقين الديني وسواه من الأساليب المماثلة في مجال الوصول إلى الناس بالكلمة. وأهم ما في الأمر أن نفوس البشر الخالدة في كل مكان تتعلق بهذه الخدمة.

حتى إنه ليصح القول إن نسمة حياة الكنيسة بالذات تتعلق بهذه القضية. ويفيدنا التاريخ أن الكنيسة في أورشليم رفضت قبول تحدي العمل الإرسالي، فيما قبلت هذا التحدي الكنيسة في أنطاكية (أعمال ١٣: ١). وهكذا انتقل مركز القوة الروحية من أورشليم إلى أنطاكية. ويروي لنا تاريخ الكنيسة أو أوقات الجفاف الروحي الأشد وطأة كانت تلك الفترات التي فيها شهد التبشير والعمل الإرسالي نشاطهما الأدنى. وبالعكس، فإن أوقات القوة الروحية الأكثر بركة كانت تلك الفترات التي فيها شهد التبشير والعمل الإرسالي نشاطهما الأقصى.

يشهد لهذه الحقيقة تاريخ المعمدانيين في أمريكا. ففي العام ١٨١٤ انقسم المعمدانيون حول مسألة الإرساليات.أما الفئة المناهضة للتبشير والإرساليات فقد تقلّصت إلى حد انعدام الوجود تقريباً. وأما الفئة المناصرة للتبشير والإرساليات فازدهرت حتى باتت أكبر جماعة إنجيلية في أمريكا.

إن مستقبل المعمدانيين منوط بتكريسهم وحماستهم في نقل البشارة إلى الآخرين. وقد قال جورج ترويت(George w. Truett) مرة إلى الكنيسة التي ليست إرسالية في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

روحها وممارستها أهلاً لقطعة الأرض التي تقوم عليها مبانيها. وذلك، على ما اقتبس ترتوليت، لأن "لِلرَّبِّ الأَرْضُ وَمِلْؤُهَا. الْمَسْكُونَةُ وَكُلُّ السَّاكِنِينَ فِيهَا" (مزمور ٢٤: ١).

وما هو صحيح بالنسبة إلى الكنيسة ما إنما هو صحيح أيضاً بالنسبة إلى كل مسيحي مؤمن. ذلك لأن على كل واحد أن يُشرك الآخرين في ما ناله من يد الرب. والرب يسوع ما أوصى شعبه قط بأن يكونوا ناجحين، بل أن يكونوا أمناء. فعليهم أن يكونوا أمناء في زرع البذار ونشر خبر الخلاص الطيب. أما النتائج فبين يدي الرب.

للمراجعة والبحث

١- فيمَ يترابط التبشير والإرساليات؟

٢- لماذا يعتبر الله المؤمنين، لا الملائكة، مسؤولين عن الكرازة بالإنجيل؟

٣- في أية نواحٍ يُعتبر التبشير والعمل الإرسالي حياة الكنيسة؟

٤- ماذا أنت فاعل في مجال التبشير والخدمة الإرسالية؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

التربية

إن قضية التربية، في ملكوت المسيح، متناسقة مع قضيَتي الإرساليات والعمل في سبيل الخير العام؛ ولذلك ينبغي أن تحظى- إلى جانب هاتين القضيتين- بالدعم السخي من قبل الكنائس. وهكذا تدعو الضرورة إلى نظام مناسب من المدارس المسيحية لتوفير برنامج روحي كامل لشعب المسيح.

ويجب أن يتوافر في التربية المسيحية نوازن وافٍ بين الحرية والأكاديمية والمسؤولية الأكاديمية. ذلك أن الحرية في أية علاقة منظّمة من علاقات الحياة الإنسانية هي دائماً حرية مقيدة وغير مطلقة البتة. فحرية المعلّم في مدرسة مسيحية، أو كلية أو معهد لاهوت، حدودها تفوق المسيح في كل شيء، وطبيعة الكتاب المقدس ذات السلطان، والهدف الواضح الذي لأجله تقوم المدرسة.

تثنية ٤: ١، ٥، ٩، ١٤؛ ٦: ١- ١٠؛ ٣١: ١٢ و١٣؛ نحميا ٨: ١- ٨؛ أيوب ٢٨: ٢٨؛ متى ٥: ٢؛ ٧: ٢٤ وما يليها.

"التربية" هي العملية التي تؤدي إلى اقتياد المرء من الجهل والتخلف إلى المعرفة وبناء الذات على أسس سليمة. ومن مرادفات التربية في الكتاب المقدس: التأديب، التعليم، البنيان. ومع أن المسيح يُدم في الأناجيل وهو يعظ، فهو لا يُدعى "واعظاً" ولا مرة، بل يُدعى "معلماً" أو "سيداً" بمعنى معلم الدين أو "الرابي". وإن نظرة في الأناجيل، ولو سريعة، تبين لنا مقدار التشديد الذي أظهره المسيح على التعليم. فأتباعه عُرّفوا بأنهم "تلاميذ" أو متعلّمون. وهو أوصى تلاميذه أن يُطوّعوا تلاميذ ويعلّموهم (متى ٢٨: ٢٠). فالمعمدانيون يعتبرون التربية الدينية جزءاً حيوياً من خدمة كنائسهم المحلية. لذا نجد أنه قد جرت العادة أن تكون خدمة مدرسة الأحد من الخدمات الأساسية في كل كنيسة معمدانية. أما المقصود من التربية، كما نتحدث عنها في هذا الفصل، فهو أساساً التربية المسيحية من طريق المؤسسات التربوية خارج الكنيسة المحلية.

وفي هذا المجال يؤمن المعمدانيون بالتربية المسيحية ويلتزمون بتوفيرها وبالصلاة لأجلها، وتشجيعها وتمويلها، بحيث تتحقق غايتها في خدمة المسيح. وهكذا نرى أن المعمدانيين في الشرق الأوسط قد شيدوا مدارس عدة في الأردن وفي لبنان. ففي الأردن شيدوا مدرسة في عجلتون للبنات وفي عمان مدرسة مختلطة للبنين والبنات، ومن صف الروضة حتى الصفوف الثانوية. وفي لبنان أقاموا في بيروت مدرسة مختلطة من صف الروضة حتى الصفوف الثانوية. أما المدرسة الأخرى التي شيدوها في منصورية المتن فهي لتدريس اللاهوت.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

التربية المسيحية

قال هنري وارد بيتشر (Henry Ward Beecher): "عن التربية هي معرفة المرء كيف يستخدم كامل ذاته". وهذا هو هدف التربية المسيحية. إنها تربية مضافاً إليها العنصر المسيحي، مما يجعلها تستهدف إعطاء تعليم رفيع المستوى لكنه أيضاً يمكّن المرء من أن يحيا حياته ويفهمها في ضوء دور الله في التاريخ كما هو معلن في المسيح.

ويعتقد المعمدانيون أن "قضية التربية.... متناسقة مع قضيتي الإرساليات والعمل في سبيل الخير العام؛ ولذلك ينبغي أن تحظى- إلى جانب هاتين القضيتين- بالدعم السخي من قبل الكنائس. وهكذا تدعو الضرورة إلى نظام مناسب من المدارس المسيحية لتوفير برنامج روحي كامل لشعب المسيح".

فعندما يقبل أستاذ ما وظيفة تعليمية في أية مدرسة، يقبل بذلك حداً ما على حريته الشخصية، كما يقبل مسؤولية التعليم ضمن إطار العقائد العامة للهيئة المسؤولة عن المدرسة. "وحرية المعلم في مدرسة مسيحية، أو كلية معهد أو معهد لاهوت، حدودها تفوق المسيح في كل شيء، وطبيعة الكتاب المقدس ذات السلطان، والهدف الواضح الذي لأجله تقوم المدرسة". ولا يُعقل أن يتولى التعليم في مثل هذه المدرسة شخص لا يستطيع قبول هذه الحدود بضمير صالح.

للمراجعة والبحث

١- ما هو تعريف التربية كما ورد في هذا الفصل، وكيف يمكنك أن تتوسع في هذا التعريف؟

٢- ما هي حرية المعلم في التعليم؟

٣- ثمة نوعان من التربية المسيحية في هذا الفصل، ما هما؟ وما هو موقف المعمدانيين من كل منهما؟

٤- كيف يطبّق المعمدانيون علمياً ما يعتقدونه نظرياً بشأن التربية المسيحية، ولا سيما في الشرق الأوسط؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الوكالة

إن الله هو مصدر كل بركة، زمنية وروحية، ونحن مدينون له بكل ما نحن عليه وبكل ما نملكه. فالمسيحيون المؤمنون هم في دين روحي للعالم أجمع، وهم مؤتمنون على الإنجيل كوديعة مقدسة، وملزمون أن يمارسوا الوكالة الأمنية على ممتلكاتهم. وعليه، فمن واجبهم أن يخدموا الرب بوقتهم ومواهبهم وممتلكاتهم المادية. وينبغي لهم أن يدركوا أن هذه كلها هي عبارة عن أمانة مودعة لديهم كي يستخدموها لمجد الله ونفع الآخرين. وبحسبما جاء في الكتاب المقدس، يجب أن يتبرع المسيحيون المؤمنون من خيراتهم بسرور وانتظام، وبصورة منهجية ونسبية وطوعية، لأجل تقدم قضية الفادي على الأرض.

تكوين ١٤: ٢٠؛ لاويين ٢٧: ٣٠- ٣٢؛ تثنية ٨: ١٨؛ ملاخي ٨: ٨- ١٢؛ متى ٦: ١- ٤، ١٩- ٢١؛ ١٩: ٢١؛ ٢٣: ٢٣؛ ٢٥: ١٤- ٢٩؛ لوقا ١٢: ١٦- ٢١، ٤٢.

كان الوكيل، في الكتاب المقدس، شخصاً مسؤولاً عن شيء يخص غيره (تكوين ١٥: ٢؛ ٤٣: ١٩؛ ٤٤: ٤؛ متى ٢٠: ٨). وقد كان في العادة عبداً مقاماً على عبيد آخرين وعلى أملاك سيده (لوقا ١٦: ١). وأشار بولس إلى نفسه وإلى أبلوس وبطرس باعتبارهم "وكلاء سرائر الله" (١ كورنثوس ٤: ١ و٢). وبهذا المعنى يُعتبر الأسقف (الراعي) "وكيل الله" (تيطس ١: ٧). وجميع المؤمنين يجب ان يكونوا "وكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة" (١ بطرس ٤: ١٠).

الوكلاء والمسؤولية

عرّف أحدهم الوكالة بأنه قبول المرء من الله المسؤولية الشخصية عن الحياة بكاملها وعن شؤون الحياة كلها. وهذا يتفق سمع منطوق الكتاب المقدس الذي يعلّم أن الإنسان هو وكيل على كل ما في حياته، أي على الوقت والمواهب والممتلكات المادية، فالوكالة الصحيحة تتضمن اعترافاً بأن الله هو مصدر كل بركة، وأنه مُعطي البركات ومالكها، وأن الإنسان هو وكيل على تلك البركات كي يستخدمها لخير الإنسان ومجد الله.

عند بحث مسألة الوكالة سأل بولس: "أي شيء لك لم تأخذه؟" (١ كورنثوس ٤: ٧). إذاً مهما كان المسيحي المؤمن يمتلك من مقتنيات مادية أو شخصية أو روحية، فيجب ألا تكون مدعاة إلى الافتخار بالذات بل بالأحرى وسيلة لإعطاء المجد لله. ويقيناً أن استعمال الممتلكات على نحو صحيح سيلقى المكافأة من عند الله، كما أن إساءة استعمالها يستنزل عقاب الله (متى ٢٥: ١٤- ٣٠؛ ٢٤: ٤٥- ٥١). وهذه الآيات المشار إليها تُلمّح إلى أن كون المرء وكيلاً أميناً هو دليل على أنه مسيحي حقيقي، وأن إساءة استخدام الوكالة تُبين أنه ليس مسيحياً بالحق. إنها لمسألة تستدعي التفكير الجدي (راجع لوقا ١٦: ١- ١٤).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وبخصوص الوكالة على الإنجيل قال بولس: "إني مديون" (رومية ١: ١٤). فهو لم يكن في دين للناس لأجل شيء ناله منهم، بل بسبب ما ناله من عند الله. وقد كان بولس تحت التزام بأن يُشرك جميع الناس في ما أعطاه الله.

هذا الالتزام فرض على كل مسيحي مؤمن. فعليه أن يُشرك الآخرين في بركة الإنجيل بالشهادة الشخصية والقدوة الشخصية أيضاً. ذلك أن المسيح طلب من أتباعه أن يشهدوا، كما طلب منهم أيضاً أن يكونوا شهادة. فحياة المرء بالذات ينبغي أن تشهد لقوة المسيح المخلّصة. وينبغي للمسيحي أن يقدم من ممتلكاته المادية ليتسنى للآخرين أن يكرزوا ويعلّموا بالإنجيل حيث يقدر هو شخصياً أن يذهب.

الوكالة على الممتلكات

شدد المسيح كثيراً، في ما شدد عليه، على الإنسان وممتلكاته المادية. فإذ إنه عالم بطبيعته الأنانية، سعى إلى إنقاذ طغيان الأشياء المادية، وإلى اقتياده لاستعمال هذه الأشياء لإعانة الآخرين، مادياً وروحياً معاً. وقد تناول قسم كبير من العظة على الجبل موضوع المسيحي والمال (متى ٦: ١٩- ٣٤).

فبدلاً من جمع الكنوز على الأرض، ينبغي للإنسان أن يكنز كنوزاً في السماء؟ (الآيات ١٩- ٢١). وكيف يستطيع الإنسان أن يكنز كنوزاً في السماء؟ إنه يستطيع أن يفعل ذلك بوضع الكنوز عند أناس ذاهبين إلى السماء. ولا يليق بالمسيحي أن يكون نظره مزدوجاً، بأن يضع عيناً على السماء وعيناً على أمور الأرض.

"لا يقدر أحد أن يخدم سيدين [يكون لهما عبداً]؛ لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال" (الآية ٢٤). فإن كلا السيدين يطلبان الولاء المطلق والخدمة الدائمة؛ ولا يستطيع المرء أن يُعطي الأمرين معاً لسيدين في وقت واحد. ومن الواضح أن المسيحي ينبغي أن يكون عبداً لله، فهو لا يستطيع أن يخدم الله والمال معاً، إلا أنه يستطيع أن يخدم الله بواسطة المال.

وينبغي للمسيحي المؤمن ألا يقلق كثيراً بشأن الماديات. لكن عليه بالأحرى أن يثق بالله لأجل الحاجيات ويُعنى كلياً بخدمة الله (الآيات ٢٥- ٣٢). فاهتمامه الأول يجب أن يكون منصرفاً نحو استخدام الحياة بكل ما فيها لتعريف الآخرين بحكم الله الملكي (الآية ٣٣).

علم المسيح خُبث الأشياء المادية حين لا تُستعمل لمجد الله. ذلك هو مغزى مثل الغني الغبي (لوقا ١٢: ١٦- ٢١). فقد ضرب الرب هذا المثل في معرض الإجابة عن سؤال يتعلق بخلاف بين أخوين على ميراثهما (الآيات ١٣- ١٥). وحذّر المسيح الجميع من

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الطمع، أو الجشع، أي الرغبة في اقتناء المزيد. وخلاصة المسائل كلها واردة في الآية ٢٠: "يا غبي هذه الليلة تطلب نفسك منك فهذه التي أعددتها لمن تكون؟". أما الشاب الغني فكان غبياً أيضاً لسببين: إنه كان يعتقد أنه يمتلك الأشياء، فيما الأشياء تمتلكه كل حين؛ ثم إنه يدل استخدام هذه الأشياء لخدمة الله والإنسان كان يكدّس المال ليختلف عليه وارثوه. أضف إلى هذا أن حادثة هذا الشاب الغني هي أيضاً مثل رائع على أن محبة المرء للمال واتّكاله عليه يُبعدان عن الله (لوقا ١٨: ١٨- ٢٥).

وبيت القصيد في مثل وكيل الظلم الداهية هو أن على المسيحي المؤمن أن يستخدم وكالته على نحو يُتيح له عند وصوله إلى السماء أن يلقى ترحيباً من قِبل الذين يسبقونه إليها نتيجة لاستخدامه وكالته استخداماً صحيحاً (لوقا ١٦: ١- ٩). على هذا المنوال يستطيع المؤمن أن يكنز له كنوزاً في السماء.

معيار الوكالة:

إن حقيقة كون كل شيء ينتمي إلى الله تعني أن كل شيء يجب أن يُستعمل لمجده. حتى المال الذي ينفقه المسيحي المؤمن على حاجاته الخاصة ينبغي أن يكون خدمه لله في حياة المؤمن. ولكن ما هو الجزء الذي يجب أن يُعطى في سبيل الدعم المباشر لعمل الله في العالم؟

علّم العهد القديم بوضوح أن عُشر الغلة (أي جزءاً من عشرة أجزاء) يُعطى للرب. والواقع أن ناموس موسى يشتمل على ثلاثة أعشار (لاويين ٢٧: ٣٠- ٣٣؛ عدد ٢٩: ٣٩، تثنية ١٢: ٥ و٦). أما العُشر الأول فكان لتمويل اللاويين وخيمة الاجتماع. وأما العشر الثاني فكان لتوفير الطعام. أما العشر الثالث، وكان يُقدّم كل ثلاث سنوات مرة، فكان للإحسان. ويتكلم ملاخي عن "العشور والتقدمات" (٣: ٨)، مشيراً على الأرجح إلى العُشر الأول بالإضافة إلى التبرعات.

هل العشور مُلزمة بالنسبة إلى المسيحي المؤمن؟ هذه مسألة فيها نظر ما دامت العشور جزءاً من ناموس موسى. ولكن يجب أن نلاحظ أن العُشر سابق لهذا الناموس (تكوين ١٤: ١٨- ٢٠؛ ٢٨: ٢٢). أضف أن الرب يسوع ما خفّض قط من مستوى وصية من العهد القديم. بل إنه رفع الوصايا من الحرف إلى الروح (متى ٥: ٢٠- ٤٨). وقد أطرى الفريسيين على تقديم العشور، لكنه شجب انعدام الرحمة لديهم (متى ٢٣: ٢٣).

لا يذكر الكتاب المقدس شيئاً عن تقديم يسوع عشوراً. ولكن من المؤكد أن يوسف، وقد كان "باراً" (أي ملتزماً الناموس بحذافيره)، كان يقدم العشور. ويُحتمل كثيراً أنه علّم يسوع أن يقدّمها. ويسوع، بوصفه يهودياً، لم يخالف وصية واحدة من ناموس موسى. وقد

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كان التعشير تعليماً مألوفاً لدى الفريسيين. ومعلوم أنهم انتقدوا يسوع لتجاهله أصول السلوك عندهم، إلا أن الكتاب لا يذكر قط أنهم انتقدوه لعدم التعشير. كثير مما تقدم هو مجرد استنتاج، لكنه استنتاج لحقيقة متضمنة.

ولكن لا يفوتنا أساساً أن المسيح قد علّم أن الله هو المالك لكل شيء وما الإنسان إلا وكيل عنده، وأن كل شيء يجب أن يستعمل لمجد الله. وهو، له المجد، لم يعد التقدمة ولا وزنها، بل سبر غورها إلى المحبة الكامنة خلفها. ففي حادثة فلسي الأرملة (وهو مبلغ زهيد لا يكاد يساوي شيئاً)، لم يعلّق المسيح بشيء على تقدمات الأغنياء الضخمة، بل قال إن تلك الأرملة أعطت أكثر منهم جميعاً (مرقس ١٢: ٤١- ٤٤). فهي ألقت "كل معيشتها" وربما باتت بلا عشاء تلك الليلة من جراء ذلك.

إن الرب يقيس العطية بحسب المحبة والتضحية اللتين تتضمنهما. فهو لا ينظر إلى ما يكون عند المرء قبل أن يُعطي، بل إلى ما يبقى عنده بعد أن يُعطي. وما من أحد يجوز أن يدّعي أنه تبرع بفلسي الأرملة ما لم يكن قد أعطى كل ما عنده. حقاً "مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ" (أعمال ٢٠: ٣٥).

تقدم كلمات بولس إلى كنيسة كورنثوس أُنموذجاً للعطاء المسيحي (١ كورنثوس ١٦: ٢): "في كل أول أسبوع [يوم العبادة المسيحي] ليضع كل واحد منكم عنده خازنا ما تيسر حتى إذا جئت لا يكون جمع حينئذ". لنلاحظ في الآية فترة الجمع، والأشخاص القائمين به، ومكانه، ونسبته، وإعداده، وغايته. والآيتان ٣ و٤ ترسمان الخطة لحماية المبلغ المجموع. إذاً، تنطبق الوكالة أيضاً على إدارة مال الرب.

يُشير بعضهم إلى أن بولس هنا لا يورد أي ذكر للعشر. إلا أن هذا النوع من التقدمات من شأنه أن يُقدّم لدعم عمل الرب بصورة عادية. فالمسألة المطروقة في هذا الفصل هي التقدمات المجموعة كهبة خاصة لإغاثة مؤمني أورشليم. غير أن المبدأ المرسوم هنا يُمكن أن يُطبّق على كل عطاء مسيحي.

"فحسبما جاء في الكتاب المقدس، يجب أن يتبرع المسيحيون المؤمنون من خبراتهم بسرور وانتظام، وبصورة منهجية ونسبية وطوعية، لأجل نُصرة قضية الفادي على الأرض".

للمراجعة والبحث

١- ما هو نطاق الوكالة في الكتاب المقدس؟ ضع لائحة تذكر فيها الأمور التي أنت وكيل عليها.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٢- بأي معنى أنت مديون مسيحياً للآخرين؟ أذلك بسبب ما تناله منهم أم تناله من عند الله؟

٣- هل ينبغي أن يكون العُشر هو الغاية أو نقطة الانطلاق في الوكالة المسيحية؟

٤- تباحث مع الراعي أو رئيس اللجنة المالية بشأن الموازنة المالية في الكنيسة التي تنتمي إليها.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

التعاون

ينبغي لشعب المسيح، بحسبما تدعو الضرورة، أن ينظّموا من الجمعيات والمجامع ما يضمن على أفضل وجه توفير التعاون في ما بينهم لخدمة الأهداف العظيمة المختصة بملكوت الله. وليس لمثل هذه المنظمات سلطان الواحدة على الأخرى أو على الكنائس. فهي هيئات طوعية واستشارية مصممة لتفعيل طاقات رعايانا وتوحيدها وتوجيهها على أفعل نحو. وينبغي لأعضاء الكنائس في العهد الجديد أن يتعاونوا بعضهم مع بعض للمضي قُدماً بالخدمات التبشيرية والتربوية والخيرية، لأجل امتداد ملكوت المسيح. والوحدة المسيحية بمفهوم العهد الجديد هي الانسجام الروحي والتعاون الطوعي في سبيل غايات مشتركة بين جماعات شتى من شعب المسيح. والتعاون بين مختلف الطوائف المسيحية أمر مرغوب فيه، ما دامت الغاية المرجو بلوغها مبررة في حد ذاتها، وما دام مثل هذا التعاون لا ينطوي على أي انتهاك للضمير أو أية مساومة على الولاء للمسيح وكلمته كما هي معلنة في العهد الجديد.

خروج ١٧: ١٢؛ ١٨: ١٧ وما يليها؛ قضاة ٧: ٢١؛ عزرا ١: ٣ و٤؛ ٢: ٦٨ و٦٩؛ متى ١٠: ٥- ١٥؛ مرقس ٢: ٣؛ لوقا ١٠: ١ وما يليها؛ أعمال ١: ١٣ و١٤؛ ٢: ١ وما يليها؛ ١ كورنثوس ١: ١٠- ١٧.

المعمدانيون أناس مستقلون، لكنهم متعاونون. ويشهد لهذه الحقيقة تعبير "البرنامج التعاوني"، وهو تعبير يستعمله المعمدانيون الجنوبيون، أكبر مجموعة معمدانية، للإشارة إلى برنامجهم المختص بالعطاء لدعم عمل المسيح في طول الأرض وعرضها. وهذا التعاون يُبذل طوعاً وعلى نحو مستقل، ومن شأنه أن يصون الحكم الذاتي لكل جماعة من الجماعات، وفي الوقت نفسه يمسك بزمام الطاقات الروحية والمواد المادية عند المعمدانيين الجنوبيين لاستخدامها في سبيل توجيه طاقات الطائفة لأجل نشر الإنجيل.

أسس التعاون الكتابية

في الكتاب المقدس أُسس للمساعي التعاونية في القضايا ذات المصلحة المشتركة. وأول جهد من هذا القبيل كان يتعلق بنقاوة التعليم، كما يظهر في المجمع الأورشليمي الذي عُقد سنة ٤٩ م (أعمال ١٥؛ غلاطية ٢). فقد اجتمع ممثلون للكنيسة من أورشليم ومن أنطاكية للبحث في نشاط المهوّدين الذي أثار الجدل. وكان هذا المجمع مؤتمراً طوعياً صان بكل عناية موقف كلتا الكنيستين. إلا أن النتائج آلت إلى وحدة داعمة لإنجيل الخلاص بالنعمة من طريق الإيمان في مقابل الدعوة إلى أعمال طقسية فضلاً عن الإيمان.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وثمة جهد تعاوني آخر يظهر في جولة بولس الرسول على كنائس مكدونية واليونان لجمع تقدمة لإعانة المسيحيين المؤمنين الذين في فلسطين (١ كورنثوس ١٦: ١؛ ٢ كورنثوس ٨ و٩). وإن دراسة للآيات المشار إليها في رسالتي كورنثوس تبين أن هذا الجهد التعاوني كان طوعياً.

هذان مثلان وحسب، لكنهما يقدّمان أُسساً كافية يمكن إرساء العمل التعاوني عليها.

تاريخ التعاون المعمداني

للمعمدانيين تاريخ حافل بالتعاون. فقد تكتّلوا حول العالم طوعاً للقيام بأشياء لا تستطيع الكنائس أن تقوم بها منفردة، كإرسال المرسلين ودعم المدارس وخدمة المحتاجين.

يعتقد المعمدانيون أن مثل هذا التعاون ينبغي أن يكون طوعياً، حيث تبقى كل كنيسة مستقلة، ومديرة لشؤونها بنفسها، ضمن النشاط التعاوني. فالقرارات التي تتخذها مجموعة ما، ينبغي ألا ترغم غيرها على تبنّيه.

من خلال الاتحاد المعمداني العالمي يتعاون المعمدانيون عالمياً في شركة محبة وصلاة واهتمام متبادل لتلبية حاجات البشر باسم المسيح وبروحه. هذا هو نوع الوحدة التي يعتقد المعمدانيون أن المسيح صلى لأجلها (يوحنا ١٧: ٢١).

إن الوحدة المسيحية بمفهوم العهد الجديد هي الانسجام الروحي والتعاون الطوعي في سبيل أهداف مشتركة من قبل جماعات شتى من شعب الله.

وحدة، لا اتحاد

يتعاون المعمدانيون مع الطوائف الأخرى فقط في القضايا ذات الاهتمام المتبادل، شريطة ألا يُضطروا إلى المساومة على إيمانهم وممارستهم كما يفهمون تعاليم العهد الجديد. فمثل هذا التعاون ينبغي أن "لا ينطوي على أي انتهاك للضمير أو أية مساومة على الولاء للمسيح وكلمته كما هي معلنة في العهد الجديد".

يعتقد المعمدانيون أن يسوع صلى لأجل الوحدة الروحية وليس لأجل الاتحاد الاندماجي. "ليكون الجميع واحدا كما أنك أنت أيها الآب في وأنا فيك ليكونوا هم أيضا واحدا فينا" (يوحنا ١٧: ٢١). وجدير بنا أن نذكر أن "واحداً" في العبارة الأخيرة غير موجودة في أفضل المخطوطات.

إن الآب والابن واحد في الجوهر لكنهما اثنان في التجلي الظاهر. فبينهما وحدة في الروح والطبيعة والقصد. وقد صلى المسيح طالباً أن تسود مثل هذه الوحدة بين شعبه. إنه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لم يطلب أن يصير تلاميذه الأحد عشر إنساناً واحداً ضخماً، بل أن يختبروا بوصفهم أشخاصاً أفراداً وحدة الروح والقصد كما تُرى عند الآب والابن. إنها وحدة "أنا فيهم وأنت فيّ" (يوحنا ١٧: ٢٣). هكذا، وبفضل الروح القدس، يتسنى للتلاميذ أن يختبروا الشركة التي تجعلهم كياناً واحداً في الروح والقصد، لا اتحاداً اندماجياً.

أما أن المعمدانيين يشتركون فعلاً في وحدة روحية مع جميع الذين يؤمنون حقاً بالمسيح، فأمر يشهد له كلام سترونغ (A. H. Strong) الذي جاء في سياق حديثه بمناسبة المؤتمر المعمداني العالمي الأول عام ١٩٠٥: "من المؤكد أنه واجب علينا أن نعترف في كل مكان ودائماً بأننا أولاً مسيحيون، وثانياً معمدانيون. فالرباط الذي يشدنا إلى المسيح أهم في أعيننا من ذاك الذي يربطنا بإخوتنا في العقيدة والطائفة. ونحن نحيا على رجاء أن يُحدث روح المسيح، الذي فينا وفي سائر الكيانات المسيحية جميعاً، نمواً في العقل والقلب من شأنه أن يجعل شعورنا بالوحدة في المسيح يتجاوز سياجات الانقسام ويطمسها، وليس هذا فقط، بل يؤول في آخر الأمر إلى إطاحة السياجات من أساسها". ولكن لنلاحظ أن هذه الغاية السامية يجب أن تتحقق من طريق الوحدة الداخلية، لا من طريق اتحاد يُفرض من الخارج.

وقد ضرب جورج ترووِيت (G. W. Truett) الوتر نفسه، إذ قال في أثناء انعقاد المؤتمر المعمداني سنة ١٩٣٩: "إننا نبتهج جداً بوحدتنا الروحية مع جميع الذين يحبون الرب يسوع المسيح بأمانة وحق. إننا نودّهم كإخوة لنا بنعمة المسيح المخلّصة، وكوارثين معنا للحياة والخلود. نحب الشركة معهم، ونرى أن الوحدة الروحية لجميع المؤمنين الحقيقيين بالمسيح هي الآن حقيقة مباركة، وستبقى هكذا دائماً أبداً. هذه الوحدة الروحية لا تتعلق على الأمور التنظيمية أو الشكلية أو الطقسية. فهي أعمق من كل التنظيمات، وأسمى منها وأوسع وأثبت. ويطيب للمعمدانيين أن يبادلوا المودة جميع هؤلاء المؤمنين بالمسيح، باعتبارهم إخوة لهم في الخلاص المشترك، إلى أية جماعة انتموا، إنجيلية كانت أو كاثوليكية أو غير ذلك، ولو لم ينتموا إلى أية جماعة".

للمراجعة والبحث

١- أينبغي أن يكون التعاون داخل شركة الكنيسة المحلية فقط، أم ينبغي أن يتسع نطاقه ليشمل العلاقة بين الكنائس المعمدانية؟

٢- ما هي طبيعة العلاقة بين الهيئات المعمدانية: الكنيسة المحلية، المجامع المحلية، الاتحاد المعمداني العام؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٣- أعلى الكنائس المعمدانية أن تسعى إلى طرائق للتعاون مع الجماعات المسيحية الأخرى؟ إن كان نعم، ففي أية مجالات وعلى أي أساس؟ ضع لائحة تذكر فيه المجالات التي يمكن أن يتم فيها التعاون.

٤- ما الفرق بين الوحدة المسيحية واتحاد الكنائس الاندماجي؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المسيحي والنظام الاجتماعي

كل مسيحي مؤمن هو تحت التزام بأن يسعى إلى إعطاء مشيئة المسيح المحل الأول في حياته الخاصة وفي المجتمع البشري. فالأساليب والوسائل التي تُستخدم لتحسين حال المجتمع وتوطيد العدالة بين الناس لا يمكن أن تكون نافعة بصورة حقيقية ودائمة ما لم تكن جذورها ضاربة في تجديد الفرد بنعمة الله المخلّصة في المسيح يسوع. وعلى المسيحي أن يعارض، بروح المسيح، كل نوع من أنواع الجشع والأنانية والرذيلة. وينبغي له أن يعمل لأجل سد حاجات اليتيم والفقير والمسن والمريض والمتروك. وعلى كل مسيحي مؤمن أن يبذل جهده لتصير صناعة البلاد، وحكومتها، ومجتمعها ككل، تحت سيادة مبادئ البر والحق والمودة الأخوية. ولبلوغ هذه الغايات ينبغي أن يكون المسيحيون على استعداد لأن يعملوا مع ذوي الإرادة الحسنة لنصرة أية قضية عادلة، متنبهين دائماً إلى ضرورة التصرف بروح المحبة دون مساومة على ولائهم للمسيح وحقه.

خروج ٢٠: ٣- ١٧؛ لاويين ٦: ٢- ٥؛ تثنية ١٠: ١٢؛ ٢٧: ١٧؛ مزمور ١٠١: ٥؛ ميخا ٦: ٨؛ زكريا ٨: ١٦؛ متى ٥: ١٣- ١٦، ٤٣- ٤٨؛ مرقس ١: ٢٩- ٣٤؛ لوقا ٤: ١٨- ٢١؛ يوحنا ١٥: ١٢؛ رومية ١٢- ١٤؛ ١ كورنثوس ٥: ٩- ١٠.

لا يؤمن المعمدانيون عموماً بإنجيل اجتماعي، ولا بأن ملكوت الله يمكن أن يؤتى به بمجرد الإصلاح الاجتماعي للفرد أو للمجتمع ككل. غير أنهم يؤمنون حقاً بإنجيل روحي ذوي مضامين اجتماعية، لهذا السبب يعتقدون أن "كل مسيحي مؤمن هو تحت التزام بأن يسعى إلى إعطاء مشيئة المسيح المحل الأول في حياته الخاصة وفي المجتمع البشري". فمن واجبه أن يصلّي- وأن يعمل- لأجل الغاية المعبر عنه بالدعاء "لتكن مشيئتك... على الأرض".

التجديد الشخصي عنصر أساسي

لما كان كل ظلم اجتماعي متأصلاً في الخطية الكامنة في القلب البشري، فإن الجهود الهادفة إلى تحسين النظام الاجتماعي وتوطيد العدالة يجب أن تنطلق من تجديد الإنسان الفرد. بهذه الطريقة وحدها تُثبت مثل هذه الجهود أنها ذات نفع صحيح ودائم. وقد صدق أحدهم إذ قال إن المسيح كان ثائراً، لكنه لم يكن داعية ثورة. فإنجيله إنجيل حياة، وقد كان دينامياً لا ديناميتاً (dynamic not dynamiet). ذلك أنه استهدف تغيير بطريقة بناءة ومسؤولة، لا بطريقة هدّامة ولا مسؤولة البتة.

انطلق المسيح من الإنسان الفرد إلى العمل في المجتمع. فهو مثلاً لم "يطوّق" سبيت زكا، بل دخله واقتاد صاحبه لأن يصير تلميذاً له. وبذلك حول العشار المحتال السارق إلى

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مفوّض ضرائب محسن (لوقا ١٩: ١- ١٠). وبينما كان نيقوديموس مواطناً نموذجياً، قال له المسيح مع ذلك إنه ينبغي أن يولد من الروح ليختبر ملكوت الله (يوحنا ٣: ٣- ٨). وقد رفض المسيح مراراً وتكراراً أن يكون مسيحاً سياسياً وعسكرياً ومهتماً فقط بالأمور المادية (متى ٤: ١- ٤؛ ٨- ١٠؛ يوحنا ٦: ٥- ١٥، ٢٤- ٨٥). بل إنه بالأحرى جاء لكي يطلب ويخلّص ما قد هلك (لوقا١٩: ١٠). ومع ذلك تبين تعاليمه بوضوح أنه كان يقصد تحويل أتباعه إلى مسيحيين تساعد حياتهم على تغيير النظام الاجتماعي إلى الأفضل (متى ٥: ١٣؛ ٧: ٢٤).

لقد رفض المسيح بذل أي جهد لإقامة ملكوته بالعنف أو بالإصلاح الكُرهي المفروض من الخارج (متى ١١: ١٢). وإنما كان قصده أن يفتدي أناساً ومن ثم يُرسلهم إلى المجتمع كي يغيروه بمقتضى مشيئة الله وطريقته. ويجب ألاّ يكون المسيحيّون من العالم، بل بالأحرى أن يكونوا فيه وأن يغيّروه بحسب مقاصد المسيح (يوحنا ١٧: ١٥- ١٨).

المسيحي المؤمن والمجتمع

علّم المسيح بأنه ينبغي للمسيحي أن يكون في العالم ملحاً ونوراً. فوجود المسيحي بحد ذاته يجب أن يكون دينونة على كل ما هو فاسد وشرير. ومن الواجب أن يشعر الجميع بتأثير المؤمن عندما يعارض، بروح المسيح، كل شكل من أشكال الجشع والأنانية والرذيلة.

كان المسيح حرباً على كل نوع من أنواع الظلم يُلحقه الإنسان بالإنسان. وقد تكشّفت له الأنظمة الشريرة التي انتهكت كرامة الشخصية الإنسانية (كالعبودية). غير أنه هاجم تلك الأنظمة من الداخل، ساعياً إلى تغيير قلوب الناس بحيث يعيش المفديون معاً بسلام ومحبة (أفسس ٢: ١٤- ٢٢). وقد اتبع بولس، وهو أعظم شارح لكلام المسيح، المثال عينه (أفسس ٦: ٥- ٩؛ فيلمون). والنموذج عينه يجب أن يتبع كل مسيحي حقيقي.

ومن الناحية الإيجابية، ينبغي للمسيحي أن يساهم في سد حاجات اليتامى والأرامل (يعقوب ١: ٢٧)، وجميع الفقراء والمرضى والمتروكين (متى ٢٥: ٣٤- ٤٠؛ لوقا ١٠: ٢٥- ٣٧). وعليه أن يبذل جهده لحمل المجتمع كله على الحياة بحسب مبادئ البر والحق والمحبة، إنما ينبغي له أن يفعل ذلك بوصفه مسيحياً، لا مجرد متطوع للخدمة الاجتماعية (يعقوب ٢؛ ١ يوحنا ٤: ٧- ٢١).

المواطنية المسيحية

بينما المسيحي مواطن في ملكوت الله، هو أيضاً مواطن في بلد ما. وينبغي له أن يكون مواطناً صالحاً في كلا الوطنين (٢٢: ٢١).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن الحكومة هي مؤسسة مرتبة عن الله. ولذلك يجب أن تخضع كل نفس لسلطان الحكومة (رومية ١٣: ١). ربما لا يمكن للمرء أن يوافق دائماً على قانون من القوانين. ولكن مادام القانون لا ينتهك علاقة المسيحي المؤمن بالله، فعليه أن يطيعه (الآيات ٢- ٤). قد يطمح المؤمن إلى تغيير قانون ما، من طريق العمل المشروع، ولكن عليه أن يطيع القانون مادام معمولاً به، لا خوفاً من العقاب بل بدافع من ضميره المسيحي (الآية ٥). حتى لو اضطر المؤمن إلى احتمال الآلام وهو يطيع القانون، فيجب أن يكون ذلك في سبيل إيمانه، لا كمذيب (١ بطرس ٤: ١٥ و١٦).

وقد عاش المسيحيون على مر العصور في ظل أنواع شتى من الحكومات. وقد لقوا الاضطهاد إبان حكم كثير منها، كما تمتعوا بالبركة في ظل أخرى. ولكن مهما كان شكل الدولة، تظل كلمات المسيح واضحة وصريحة: "فليضئ نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجّدوا أباكم الذي في السماوات" (متى ٥: ١٦).

التعاون الاجتماعي

في سبيل إحداث أبلغ الأثر في المجتمع "ينبغي أن يكون المسيحيون على استعداد لأن يعملوا مع ذوي الإدارة الحسنة لنصرة أية قضية عادلة، متنبهين دائماً إلى ضرورة التصرف بروح المحبة دون مساومة على ولائهم للمسيح وحقه".

وفي سبيل بلوغ هذه الغاية ما برح المعمدانيون يعملون، على مر السنين وإلى جنب هيئات مختلفة، على حل المشكلات الاجتماعية ذات الاهتمام المشترك.

للمراجعة والبحث

١- ما الفرق بين إنجيل اجتماعي وإنجيل ذي مضامين اجتماعية؟

٢- أعلى المسيحي أن يطيع فقط القوانين التي يوافق عليها؟ متى يكون مبرراً في رفضه إطاعة قانون ما؟

٣- ما هي بعض الطرائق الإيجابية التي بها يستطيع المسيحي أن يحسّن النظام الاجتماعي؟

٤- على أي أساس ينبغي للمعمداني أن يعمل مع جماعات أخرى في المجال الاجتماعي؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

السلم والحرب

من واجب المسيحيين المؤمنين أن ينشدوا السلام مع جميع البشر على مبادئ العدالة. وبمقتضى روح المسيح وتعاليمه، عليهم أن يعملوا بكل ما في طاقتهم على إنهاء الحرب.

إن العلاج الصحيح لروح الحرب هو إنجيل ربنا يسوع. فحاجة العالم الأساسية هي إلى قبول تعاليمه في ما يخص جميع شؤون البشر والأمم، وإلى تطبيق شريعة المحبة التي حمَل لواءها.

أشعياء ٢: ٤؛ متى ٥: ٩، ٣٨ـ ٤٨؛ ٦: ٣٣؛ ٢٦: ٥٢؛ لوقا ٢٢: ٣٦، ٣٨؛ رومية ١٢: ١٨ و١٩؛ ١٣: ١ـ ٧؛ ١٤: ١٩؛ عبرانيين ١٢: ١٤؛ يعقوب ٤: ١ و٢.

غني عن البيان أن السلام هو مطلب جميع البشر ذوي التفكير السليم. ومع ذلك ما تزال البشرية تواجه باستمرار الحرب أو خطرها. وقد أشار مؤخراً اثنان من مشاهير المؤرخين (ول وآريال ديورانت Will & Ariel Durant) إلى أنه "من بين سني التاريخ المدون، والبالغة ٣٤٢١، فقط ٢٦٨ سنة لم تشهد حروباً". ولطالما تحدث الناس عن السلام العادل والدائم. عادل؟ ربما، أما دائم، فلا. فإن رئيس السلام نفسه قال إن "الحروب وأخبار الحروب" هي جزء من الحياة كما يعيشها الناس (متى ٢٤: ٦). والكتاب المقدس لا يُقدم أي رجاء بسلام دائم قبل يملك المسيح ويسود قلوب الناس والكون الذي له. وليس في هذا ما يدعو إلى تجاهل مشكلة الحرب، بل بالأحرى إلى الإقرار بكونها مشكلة دائمة.

نبوة أم شرط؟

أنشد الملائكة قائلين: "المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة" (لوقا ٢: ١٤). وعند قراءة هذه العبارة، تبدو لنا أشبه بنبوة عن السلام على الأرض. ولكن منطوق العبارة في النص اليوناني الأصلي يفيد المعنى التالي: "السلام على الأرض في الناس الذين نالوا رضى الله". وهكذا يتبين أن هذه العبارة هي شرطية أكثر منها نبوية، إذ توضح الظرف الذي فيه قد يسود السلام على الأرض. فلن يكون سلام بين الناس على الأرض قبل أن يكون المجد لله في الأعالي، إذ يخضع الناس لمشيئته تعالى من طريق الإيمان بابنه.

"مِنْ أَيْنَ الْحُرُوبُ وَالْخُصُومَاتُ بَيْنَكُمْ؟ أَلَيْسَتْ مِنْ هُنَا: مِنْ لَذَّاتِكُمُ الْمُحَارِبَةِ فِي أَعْضَائِكُمْ؟ تَشْتَهُونَ وَلَسْتُمْ تَمْتَلِكُونَ. تَقْتُلُونَ وَتَحْسِدُونَ وَلَسْتُمْ تَقْدِرُونَ أَنْ تَنَالُوا. تُخَاصِمُونَ وَتُحَارِبُونَ وَلَسْتُمْ تَمْتَلِكُونَ، لأَنَّكُمْ لاَ تَطْلُبُونَ. تَطْلُبُونَ وَلَسْتُمْ تَأْخُذُونَ، لأَنَّكُمْ تَطْلُبُونَ رَدِيًّا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لِكَيْ تُنْفِقُوا فِي لَذَّاتِكُمْ" (يعقوب ٤: ١- ٣). فلنلاحظ التدرج: الاشتهاء، ثم القتل- إذا لزم الأمر- في سبيل الامتلاك.

حربٌ في قلب الفرد؟ نعم. في وسط كنيسة من الكنائس؟ أجل. في النظام الاجتماعي؟ بلى، وفي الهيئة الاجتماعية الدولية أيضاً. فما دام في قلوب البشر شهوات وخطية، ستدوم الحروب. حقاً إنها لصورة قاتمة محزنة، ولكن الكتاب المقدس لا يُعطي لهذا الدهر غيرها.

إن المصالحة بين الإنسان والله يجب أن تسبق المصالحة بين الإنسان والإنسان. وعليه، فإن خط الهجوم الأول ضد الحرب، وأول جهد يبذله المسيحي المؤمن لتوطيد السلام على الأرض، يجب أن يبدأ في قلوب البشر.

المسيحي المؤمن والسلام

قال بولس: "إن كان ممكنا فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس" (رومية ١٢: ١٨). فمن الناس مَن لا يدعون الآخرين يسالمونهم. غير أن ما يصدر عن المسيحي المؤمن يجب أن يكون عاملاً على السلام. فسبب النزاع يجب ألا يصدر من حياة المؤمن على الإطلاق.

ينبغي أن يكون المسيحي المؤمن، في دخيلة نفسه، نصيراً للسلام. وعليه أن يبذل كل ما في وسعه لإشاعة السلام بين الناس والدول. ولابد له من أن يرى في إنجيل المسيح العلاج الناجع لروح الحروب.

وإدراكاً أن الناس لن يكونوا في سلام مع أنفسهم ما لم يصيروا في سلام مع الله، على المسيحيين المؤمنين أن يعيشوا الإنجيل ويكرزوا به للناس والعالم الواقعين في قبضة الشرير. وقد قال أحدهم مرة إن مُبشّراً واحداً هو قوة أعظم من سفينة حربية في سبيل قضية السلام العالمي.

إن حاجة العالم الأساسية هي إلى قبول المسيح وتعاليمه، وإلى العيشة العملية بموجب شريعة المحبة بين البشر. وعلى المسيحي المؤمن أن يسعى لتلبية هذه الحاجة بالقدر الشخصية والشهادة ودعم الذين يعيشون ويشهدون للمسيح في جميع أنحاء العالم.

للمراجعة والبحث

١- ما هو الأساس الذي يضعه العهد الجديد لسلام عادل ودائم؟
٢- هل يعد الكتاب المقدس بمثل هذا السلام في الدهر الحاضر؟
٣- من أين يجب أن يبدأ الإنسان سعيه لإقرار السلام بين الناس؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الحرية الدينية

الله وحده هو سيد الضمير، وهو تعالى قد تركه حراً من تعاليم البشر ووصاياهم المناقضة لكلمته أو غير الواردة فيها. لذا ينبغي الفصل بين الكنيسة والدولة. ولكل كنيسة على الدولة حق الحماية والتمتع بكامل الحرية في السعي لتحقيق غاياتها الروحية. وفي مجال العمل على توفير حرية كهذه، لا يجوز أن تحظى أية جماعة كنسية أو أية طائفة بمعاملة مميزة من قِبل الدولة. وبما أن الحكومة الدينية مرتبة من الله، فمن واجب المسيحيين المؤمنين أن يقدّموا لها الطاعة والولاء في كل ما لا يُناقض مشيئة الله المعلنة. وعلى الكنيسة ألا تركن إلى السلطة المدنية لتأدية عملها. فإن إنجيل المسيح يقتضي استعمال الوسائل الروحية فقط في سبيل بلوغ غاياته. وليس للدولة أي حق في فرض عقوبات على الآراء الدينية من أي نوع، كما لا يحق للدولة أن تفرض أية ضرائب لدعم أي شكل من أشكال الدين. فالصورة المسيحية المثالية هي وجود كنيسة حرة في دولة حرة، الأمر الذي يتضمن حق كل إنسان في التقدم الحر إلى الله دون عائق، كما يتضمن حق تبني أية آراء دون تدخل من قبل السلطة المدنية.

تكوين ١: ٢٧؛ ٢: ٧؛ متى ٦: ٦ و٧، ٢٤؛ ١٦: ٢٦؛ ٢٢: ٢١؛ يوحنا ٨: ٣٦؛ أعمال ٤: ١٩ و٢٠؛ رومية ٦: ١ و٢؛ ١٣: ١- ٧؛ غلاطية ٥: ١؛ فيلمون ٣: ٢٠؛ ١ تيموثاوس ٢: ١ و٢؛ يعقوب ٤: ١٢؛ ١ بطرس ٢: ١٢- ١٧؛ ٣: ١١- ١٧؛ ٤: ١٢- ١٩.

الحرية الدينية هي أُمُّ كل حرية حقيقية. وهي أصيلة في طبيعة الله كما في طبيعة الإنسان المخلوق على صورة الله (تكوين ١: ٢٧). هذه الحرية تتضمن كفاءة النفس في موضوع الدين وتُنكر على أي شخص، أو حكومة مدنية، أو نظام ديني، حق التدخل بين الله والإنسان (١ تيموثاوس ٢: ١- ٦).

تعريف الحرية الدينية

الحرية الدينية تعبير يُراد به "حق كل إنسان في عبادة الله كما يملي عليه ضميره. وتعني هذه الحرية مساواة بين جميع الأديان، وليس فقط جميع المذاهب المسيحية، أمام القانون". ولنا أن نضيف أيضاً أن هذه الحرية ينبغي أن تشمل الفلسفات اللا دينية. فالإنسان حر في ألا يعبد الله إذا هو اختار ذلك.

ثم إن الحرية الدينية ليست هي التسامح الديني. ذلك أن التسامح الديني هو امتياز يمنحه الإنسان. أما الحرية الدينية فهي حق منحه الله لكل إنسان. فالحرية تنطوي على مسؤولية وتستلزم ضوابط داخلية وذاتية (رومية ٦: ٦- ١٨؛ غلاطية ٥: ١٣- ١٦).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أساس الحرية الدينية في الكتاب المقدس

ليس أساس الحرية الدينية وثيقة قانونية صادرة عن دولة من الدول، بل هو متأصل في الكتاب المقدس. فالحرية هي من الصفات الملازمة لكيان الإنسان كما خلقه الله (تكوين ١: ٢٧). حتى إن الله لا يُجبر الإنسان رغم إرادته. فالإنسان حر في ما يختار، لكنه مسؤول عما يختار (تكوين ٣). هذه الحرية المقترنة بالمسؤولية تعني أن الله وحده هو سيد ضمير الإنسان. وهو تعالى قد حتم أن يكون ضمير الإنسان "حراً من تعاليم البشر ووصاياهم المناقضة لكلمته أو غير الواردة فيها".

وهكذا تكون الحرية الدينية ذات جذور في ربوبية المسيح. وعليه، فعندما تتعارض وصايا الناس مع إرادة الله، ينبغي للمسيحي أن يطيع الله أكثر من الناس (أعمال ٤: ١٨-٢٠). فإذا ما واجه المؤمن الاختيار بين القولين "يسوع رب" و"قيصر رب"، فعليه أن يقول الأول (رومية ١٠: ٩). والحرية الحقيقية لا توجد إلا في المسيح فقط (يوحنا ٨: ٣٦؛ رومية ٨: ١ و٢). وينبغي أن تمارس بقوة الروح القدس وإرشاده (رومية ٨: ٥- ٩؛ ٢ كورنثوس ٣: ١٧). وبينما يجب أن يكون المسيحيون المؤمنون مواطنين صالحين في الدولة، فعندما تتعارض قوانين الدولة ووصايا الله، عليهم أن يقولوا: "ينبغي أن يُطاع الله أكثر من الناس" (أعمال ٥: ٢٩).

الفصل بين الكنيسة والدولة

يرى مولنز أن وجود كنيسة حرة في دولة حرة هو من البديهيات الدينية. وقد عبر المسيح عن هذه البديهية بأوضح صورة إذ قال: "أعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله، لله" (متى ٢٢: ٢١). وواضح أن الدولة الحرة لا تخلق الحرية الدينية خلقاً، بل تعترف بها وتحترمها. على أن الحرية الدينية عنصر جوهري في جعل الدولة حرة حقاً.

ولكن الفصل بين الكنيسة والدولة لا يعني انعدام العلاقات بينهما على الإطلاق. فقد اعترف المسيح بحقوق الدولة ودورها (متى ٢٢: ١٥- ٢١) واستخدم طلائع المرسلين المسيحيين الطرق والخطوط البحرية التي وفرتها الدولة، كما طالبوا أحياناً بحماية الدولة لهم (أعمال ١٨: ١٢- ١٧؛ ٢١: ٢٧- ٣٩؛ ٢٢: ٢٥- ٣٠؛ ٢٥: ١٠- ١٢). ومطلوب من المسيحيين، بوصفهم مواطنين، أن يخضعوا لسلطة الدولة (رومية ١٣: ١- ٨؛ ١ بطرس ٢: ١٢- ١٧).

إن الكنيسة والدولة مترابطتان في شؤون الحياة العادية. فالكنيسة تستطيع أن تقوم بعملها إذ إن الدولة توفّر جواً مؤاتياً من خلال خدماتها (كالإطفاء، والأمن القومي، وحماية الشرطة للمواطنين، والخدمات البريدية، والمواصلات، والطرقات، والاستقرار الاجتماعي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

العام، الخ..). والكنيسة بدورها ينبغي أن تُنشئ- بواسطة الإنجيل- نوعاً من المواطنين المسيحيين يُسهم في توطيد نظام اجتماعي ثابت.

غير أن كلتا الكنيسة والدولة، ف الوقت نفسه، مستقلة إحداهما عن الأخرى. فلا يجوز لأية واحدة منهما أن تسعى للسيطرة على الأخرى ولا لاستخدامها في إتمام دورها الخاص بها. كما لا يجوز أن تُملي إحداهما على الأخرى كيف تقوم بمسؤوليتها. ينبغي للكنيسة ألا تسعى إلى استخدام الدولة لتحقيق غاياتها، كما ينبغي للدولة ألا تتسلط على الكنيسة لأغراض سياسية، ولا يحق للدولة أن تعتبر ديانة ما في منزلة أسمى من سواها. ومن رأي الكاتب الحالي أن الدولة يجب ألا تفرض ضرائب على الممتلكات المستخدمة حصراً لأغراض دينية. كما أنه يُستحسن ألا تتلقى الكنيسة أموالاً مجبية من طريق الضرائب، لإنفاقها على ما تتولى مسؤوليته من شؤون ثقافية أو طبية أو روحية. وينبغي أن تكون الكنيسة حرة في تحديد برامجها المختصة بالعبادة والتبشير والعمل الرسولي. إنما يجب أن يُنجَز ذلك كله ضمن إطار البنية القانونية في النظام الاجتماعي، كي يؤول ذلك إلى خير جميع المواطنين.

ولا جدال في أن بين الكنيسة والدولة مساحات "رمادية" في العلاقة، حيث تبرز الحاجة إلى التأويل. ولكن أمراً واحداً يبقى واضحاً للغاية، وهو أن الكنيسة والدولة يجب ألا تمارس إحداهما السلطة على الأخرى. وهوذا التاريخ يشهد أن الكنيسة الحرة في الدولة الحرة هي بركة للاثنين معاً.

المعمدانيون و الحرية الدينية

طالما كان المعمدانيون مناصرين للحرية الدينية، لا لأنفسهم فقط، بل لجميع الناس أيضاً، وتوجد جذور المعمدانيين المعاصرين في الحركة الانفصالية التي شهدتها انكلترا وهولندا. فقد جاء في أحد المراجع الثقة أنه "بين المعمدانيين الأولين في انكلترا، ناصر ثوماس هيلايز وجان مارتون (Thomas Helways& John Murton) الحرية الدينية الكاملة، ودفعا ثمن موقفهما بأن تعرضا للسجن، وللموت على الأرجح، ففي ١٩١٢ نشر هيلايز نبذة عنوانها (إعلان موجز لسر الإثم) [موجهة إلى الملك]، وفيها أعلى شأن الحرية الدينية، وحرية الضمير للجميع، وصرّح بأن السلطة الأرضية ليس لها سلطان معاقبة الناس على آرائهم، وليس لها حق بعدم التسامح معهم، سواء كانوا هراطقة أو أتراكاً أو يهوداً أو أي شيء آخر".

وفي أمريكا أسس روجر وليمز (Roger Williams) مستعمرة رود آيلند (Rhod Islnd) التي تميزت بالدعوة إلى الحرية الدينية المطلقة. وقد أشار أحدهم إلى أنها كانت المرة الأولى، منذ أيام قسطنطين، لقيام دولة توفّر لمواطنيها الحرية الدينية بكل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

صراحة ووضوح. ويُذكر أن أول تعديل لدستور الولايات المتحدة قد تم إلى حد بعيد من جراء إصرار معمدانيّي فرجينيا.

وفي أول مؤتمر معمداني دولي عُقد في لندن عام ١٩٠٥، أعلن فريمان (J.D. Freeman) الموقف التالي العزيز على قلب كل معمداني:

"لم يكن مطلبنا الأول مجرد التسامح الديني، بل الحرية الدينية، لا رحابة الصدر وحسب، بل الحرية بالحق، وذلك ليس لأنفسنا فقط، بل لجميع البشر. ونحن لم نعثر على هذا المعتقد الديني صدفة، بل هو قائم في صلب عقيدتنا. إن المسيح هو رب الكل... الضمير هو عبد لله فقط، وليس خاضعاً لمشيئة بشر. هذا الحق حيٌّ حياةً لا يُمكن دفنها. فإن هو صُلِبَ، قام في اليوم الثالث. وإن هو دُفن في القبر، دُحرج عنه الحجر فيما حُراسه يصيرون كأموات... رفضنا كل حين أن نحني رقابنا تحت نير العبودية، وكذلك حرصنا كل الحرص على سحب أيدينا من فرض هذا النير على الآخرين... إن أيدينا براءٌ من دم الشهداء. فنحن لم نستل يوماً سيف السلطة الزمنية لمناصرة سيف الروح. ونحن لم نُجِز قط مرسوماً يقضي بحجب الأهلية المدنية عن أي إنسان بسبب آرائه الدينية، سواء كان بروتستانتياً، أو معمدانياً، أو يهودياً، أو تركياً، أو مُلحداً. ففي هذا الميدان تجد سجلنا خالياً من أية وصمة".

فإذا صح القول إن ثمن الحرية هو السهر الدائم عليها، فالأصح أن ينطبق هذا القول بالأحرى على الحرية الدينية.

للمراجعة والبحث

١- ما هو أساس الحرية الدينية في الكتاب المقدس؟ وما علاقة كفاءة النفس في مسألة الدين بهذه الحرية؟

٢- أية قضايا تتضمنها البديهية الدينية المدنية التي حددها مولنز؟ ما هي المسؤوليات المتبادلة لكل من الكنيسة والدولة في ما يخص العلاقة بينهما؟ أية أمور هي محظورة في هذه العلاقة؟

٣- أيجوز لكنيسة ما، أو لأية هيئة دينية أخرى، أن تُملي على الدولة كيفية تولي شؤونها؟ كيف يمكن للمسيحيين الأفراد أن يؤثّروا في حياة البلد السياسية على مختلف المستويات الحكومية؟

٤- أي دور ينبغي أن يؤديه المعمدانيون في الحفاظ على الحرية الدينية؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل هي هيئة إرسالية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس.
لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملأ حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكرزة بالإنجيل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com